



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي - الأغواط

مذكرة ماستر

إعداد الطالبة : مادي نورة

ميدان : اللغة والأدب العربي

شعبة : الدراسات اللغوية

تخصص : لسانيات عربية

مذكرة لنيل شهادة الماستر بعنوان:

استثمار الأدوات البلاغية في التحليل التداولي

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الدرجة العلمية	الإسم واللقب
رئيسا	أستاذ محاضر (أ)	د. بن شتوح عامر
مشرفا و مقررا	أستاذ التعليم العالي	د. بوفاتح عبد العليم
مناقشا	أستاذ محاضر (أ)	د. غريبي خيرة

السنة الجامعية : 2018/2017

1439/1438

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

قال الله تعالى ﴿لأن شكرتم لأزيدنكم﴾
الحمد لله على فضله وتوفيقه في إنجاز هذا العمل والصلاة والسلام على رسوله
خير الأنام عليه أسمى الصلاة والسلام وبعد:

قال رسول الله ﷺ « من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدى إليكم
معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له »

تطبيقا لهذا الحديث واعترافا بالجميل أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من قام
بمساعدي ودعمي في بحثي هذا من قريب أو من بعيد وأخص بالشكر
والثناء أستاذي الدكتور عبد الغليم بوفاتح على هذه الرسالة ، وعلى كل
ما بذله من جهد ووقت في توجيهي وإرشادي فجزاه الله خير جزاء وجعل ذلك
في ميزان حسناته

وأسأل الله التوفيق والسداد

إهداء

بسم الذي علم بالقلم علم الانسان ما يعلم ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق خاتم
الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم

أهدي هذا العمل المتواضع الى

أمي العزيزة أطال الله في عمرها

إلى الذي أجهد نفسه من أجل تعليمي أبي العزيز حفظه الله

إلى جميع إخوتي و أخواتي وأبنائهم حفظهم الله

إلى كل الصديقات والرفيقات كل باسمها

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم ورقتي

نورة مادني

مقدمة

مقدمة:

إن الحمد لله رب العالمين، نحمده ونشكره ، ونتضرع إليه، ونسأله أن يلهمنا الصواب والتوفيق، والصلاة والسلام على خير من نطق بالعربية، بلسان عربي مبين، سيدنا محمد ﷺ.

شهدت الساحة الفكرية المرتبطة بالدرس اللساني في العقود الأخيرة ظهور عدة تيارات ومناهج نقدية، كالتيار النبوي، والتوليدي، والتفكيكي... وغيرها. وقد دأبت هذه الاتجاهات على تناول الظاهرة اللغوية وفق زوايا نظر متباينة ومختلفة، وهو الأمر الذي أفضى إلى ثراء ودينامية المنظومة المنهجية المختصة بالمقاربات اللسانية، حيث لم تعرف هذه المنظومة الثبات والاستقرار ردحا طويلا من الزمن، وقد انقسمت هذه التيارات والمناهج النقدية في الثقافة الغربية إلى اتجاهين بارزين:

الاتجاه الشكلي الذي انبعث من مقولات اللسانيات البنوية وتنظيراتها المتعلقة بالنسق المغلق، وقد عكف هذا الاتجاه على مقارنة النظام اللغوي معزولا عن قضايا السياق التواصلي.

الاتجاه التواصلي الذي حمل على عاتقه دراسة المنجز اللفظي في سياق معين، ومن بين المناهج الحاملة لمثل مقولات هذا الاتجاه: تحليل الخطاب، اللسانيات الوظيفية، النحو الوظيفي في بعض جوانبه. وعنيت هذه المناهج بمقارنة النصوص والخطابات بمختلف أشكالها وصورها.

وكانت آخر ثمرة تمخضت عن هذا الاتجاه الأخير، انبثاق تيار حديث، كان بمثابة البديل والأفق الذي تسعى إليه الأبحاث والدراسات اللغوية المعاصرة . وقد تجسد هذا الأفق في "النظرية التداولية"، أو ما يعرف بعلم الاستعمال اللغوي.

وبما أن هدف هذا البحث هو الكشف عن كيفية استثمار البلاغة في النظرية التداولية، فسنركز على أهم ما يجمع البلاغة والتداولية أو دراسة الظواهر البلاغية من منظور تداولي .

لقد بنت التداولية رؤيتها على مسألة الإنتاج اللغوي وفق نظرة معرفية ثرية قوامها : أن كل أداء لغوي هو عبارة عن فعل كلامي حامل لمقوم مقاصدي، توجهه بطريقة ما تلك الملابسات والظروف التي شكلت المهده الطبيعي والكنف الجوهري لمسألة الإنتاج اللغوي. ووفق هذا المنحى المعرفي سارت البلاغة العربية، إذ بنت معالمها ودعائمها المنهجية على قاعدة الاهتمام بقضايا المنفعة التي تنبثق من الأداء اللغوي وشروط تحقيقها؛ وهي كلها لوازم وضروريات ترتبط ماهيتها بالاطار التواصلي ومكوناته المرتبطة بقضايا تداولية واضحة. فإذا نظرنا الى الرصيد المعرفي الذي خلقه التراث البلاغي العربي، وجدنا ذخرا ثميناً من الأفكار النيرة التي أثارها البلاغيون العرب في مؤلفاتهم ، حيث أسهموا من خلالها في إجراء وتفسير ووضع بعض القيود الاستراتيجية التي تسمو بالأداء اللغوي نحو القول الفصيح والبلاغة الحقيقية بطريقة راقية

وناضجة، فجرت ينابيع التلاقي المعرفي والانصهار المنهجي بينهما وبين طروحات الدرس التداولي المعاصر المختص بتقنين الأدوات الاستراتيجية المتعلقة بالخطاب الناجح وزرعها.

دوافع وأسباب اختيار الموضوع:

إذا كان لكل باحث أسباب ذاتية تدعوه الى اقتحام فكري لموضوع ما، فإننا نقر أن الدافع الأساسي الذي جعلنا ننتقي هذا الموضوع هو خدمة البحث اللغوي لاسيما وأنه متعلق بتراثنا اللغوي البلاغي الذي لايزال بحاجة ماسة إلى جهود معرفية تنفض عنه الغبار، محاولة منا لإثراء هذه القضايا المتصلة بالإشكالية التي انبنى عليها موضوعنا ومعالجتها. ويمكن أن نوجز أهم دوافع اختيار الموضوع وأسبابه فيما يأتي:

-رغبنا في الكشف عما خلفه علماؤنا القدماء من نظريات صائبة كانت مقابلة للكثير من الأفكار اللسانية الحديثة ، فقد كان لهم فصل السبق في وضع الأسس للكثير من النظريات.

-قلة الدراسات اللغوية في هذا الصدد ، وكذا الرغبة والميل الشديد للموروث العربي القديم وارتباطه بالنظريات الحديثة .

-الاستيعاب المعرفي الايجابي للمكونات والأسس الفكرية التي انطوى عليها التراث البلاغي العربي بشكل عام.

-نفض الغبار عن التخريجات الناضجة والتصورات المعرفية العميقة المتعلقة بمسألة الانتاج اللغوي في الفكر البلاغي العربي، خاصة وأنها تنسجم مع الكثير من الطروحات الموجودة على طول البحث اللساني المعاصر(خاصة التداولية).

-محاولة عقد الصلة المعرفية بين ثقافتين متمثلتين في الفكر العربي والفكر الغربي، وهو ما يدخل في نطاق تشغيل آليات المثاقفة من بابها الإيجابي الذي ينشد المعرفة الإنسانية المتكاملة.

-التوسع في دراسة البلاغة وبيان علاقاتها بالعلوم والنظريات الحديثة.

وجدنا أن هذا الانسجام المعرفي خليق بمعاينة فكرية ودراسة علمية منظمة، ومنه أمكن أن نسوق إشكالية البحث في شكل تساؤلات، على النحو الآتي:

كيف انطوت نظريات البلاغيين العرب وأفكارهم على تخريجات وتصورات متناسقة حول اللغة في بعدها التواصلية بشكل عام ؟

هل اعتمد البلاغيون العرب في تصوراتهم المرتبطة بإعداد شروط الخطاب البلاغي الراقى على معالم وأسس نظيرية وإجرائية كالتى تبناها الدرس التداولي ؟

هل انطوت علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان والبديع) والمباحث المندرجة تحتها على أبعاد وأسس ذات معالم معرفية تتعامل مع مسألة الإنتاج اللغوي وفق رؤى حديثة تسير حركية الفكر الإنساني المعاصر؟.

أية علاقة يمكن الوقوف عليها بين البلاغة ومختلف النظريات المعاصرة، ولا سيما النظرية التداولية التي لا غنى في التعامل معها عن المعطيات البلاغية؟.

انطلاقاً من الإشكاليات التي طرحناها ارتأينا أن يكون عنوان بحثنا هو: استثمار الأدوات البلاغية في التحليل التداولي. وبدا لنا أن نقسم هذا البحث إلى فصلين ومدخل، تتصدرهما مقدمة، ويتوجان بخاتمة مع أهم النتائج المتوصل إليها، وذلك كما يأتي .:

- المدخل: تناولنا فيه تقاطعات البلاغة مع الأسلوبية، وعلم النص والتداولية، وذلك بالنظر إلى العلاقة القوية القائمة بين هذه النظريات.

- الفصل الأول: فضلنا أن نعالج فيه أهم التقاطعات بين البلاغة والتداولية، وقد قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين:

- المبحث الأول: اهتم بإبراز بعض المفاهيم والمصطلحات المشتركة بين البلاغة والتداولية (الأفعال الكلامية، القصد، والسياق... وغير ذلك مما له علاقة بالموضوع) مع تقديم رؤية لهذه المفاهيم في الفكر اللساني المعاصر

- المبحث الثاني: خصص للحديث عن أهم النقاط التي تلتقي فيها البلاغة والتداولية في منهج الدراسة والتحليل بمعنى: كيف نقوم باستثمار البلاغة في الدرس التداولي؟ وكيف نقوم بفهم التداولية من منظور بلاغي؟ وكيفية يكون القيام بالتحليل التداولي الذي يمكن أن نتبين من خلاله هذه التقاطعات؟.

الفصل الثاني: جاء عنوانه: الموازنة بين التحليل البلاغي والتحليل التداولي؛ وقد قسمناه إلى مبحثين:

- المبحث الأول: تكلمنا فيه عن أهم الآليات البلاغية في ضوء النظرية التداولية، وعن أهم التداخلات المعرفية العامة الواقعة بين مفترق طرق الدرس البلاغي والدرس التداولي المعاصر (المعاني، البيان والبديع) وما يندرج تحت هذه العلوم وأهم النقاط المتقاربة بينهما .

- المبحث الثاني: كان عبارة عن نماذج قرآنية قمنا بتحليلها تحليلاً بلاغياً تداولياً، قصد بيان طريقة التحليل التداولي، علماً أن مثل هذه الدراسات تركز كثيراً على التنظير، وتغفل الجانب التطبيقي.

من بين أهم أهداف هذا البحث، يمكن أن نذكر على سبيل الإيجاز:

- الارتقاء بالبلاغة العربية وتحديثها على ضوء النظريات المعاصرة.

- محاولة استخلاص بعض الملاحظات التي تثبت البعد التداولي في البلاغة العربية.

- محاولة فهم آليات هذا المنهج الغربي الحديث وما يمكن أن تستفيد منه البلاغة العربية في هذا الشأن.

اقتضت منا طبيعة الموضوع استخدام المنهج التقابلي وذلك بمقابلة البلاغة بالتداولية، من أجل الوقوف على أهم التقاطعات بينهما، من حيث المفاهيم والمصطلحات ونقاط الاشتراك والتلاقي بينهما، وطريقة الدراسة والتحليل.

وكذلك المنهج التحليلي من خلال تفصيل العلاقة القائمة بين النظرية البلاغية والنظرية التداولية، وذلك بواسطة تحليل بعض النماذج التطبيقية، عند الحديث عن كيفية توظيف الأدوات البلاغية في التحليل التداولي.

من أهم المصادر، نذكر : كتاب (آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر للدكتور محمود احمد نخلة)، (استراتيجيات الخطاب للدكتور عبد الهادي بن ظافر الشهري)، كتابي (دلائل الاعجاز، واسرار البلاغة للعلامة عبد القاهر الجرجاني)، كتاب (في اللسانيات التداولية للأستاذ خليفة بوجادي)، كتاب (مدخل الى اللسانيات التداولية للدكتور الجيلالي دلاش)، كتاب (نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرون والبلاغيين للدكتور هاشم الطبطبائي)، كتاب (التداولية عند العلماء العرب للأستاذ الدكتور مسعود صحراوي)، كتاب (اللسانيات وأسسها المعرفية للدكتور عبد السلام المسدي)، كتاب (البلاغة والاتصال للدكتور عبد المجيد جميل)، كتاب (في البلاغة العربية للدكتور عبد العزيز عتيق)، كتابي (في علوم البلاغة، الايضاح في علوم البلاغة للدكتور الخطيب القزويني)، كتاب (علوم البلاغة للدكتور محمد احمد قاسم والدكتور محي الدين ديب).

لايفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد العليم بوفاتح على ما أولاني به من العناية والتوجيه طوال فترات هذا البحث، وأسأل الله العلي القدير أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

وفي رحلتي البحثية هذه، أرجو من الله التوفيق في استيفاء هذا العمل والاحاطة ولو بجزء من الصورة الكاملة له، وأملني أني قد أفدت كما استفدت، وأسأل الله أن يلهمني السداد في الفكر والقول والعمل.

مدخل تمهيدي :

تقاطعات البلاغة مع النظريات الحديثة

1-تقاطعات البلاغة مع الأسلوبية

2-تقاطعات البلاغة مع علم النص

3-تقاطعات البلاغة مع السيميائيات

4-تقاطعات البلاغة مع التداولية

توطئة:

البلاغة هي فن الخطاب الجيد،" فهي تتوجه إلى المستمع لتؤثر فيه، إلا أننا قد نعلم إلى تجديد العلوم المساعدة و المرتبطة بها لفهم أبنية النصوص ، وكيفيات تشكيل هذه النصوص لغويا و أسلوبيا و دلاليا، و هذا لا يعني تقسيم البلاغة إلى علومها من بيان ومعان وبديع بل يعني رصد العلاقات بينها وبين العلوم الأخرى كالأدبية ولسانيات النص و تحليل الخطاب، فلكل علم إجراءاته ومستوياته التحليلية وهذا ما يساعد على تشكيل البنية الكبرى للنص"¹ ، وهذا ما سنقوم بدراسته و نفضل فيه في الصفحات القادمة. لتركز في الأخير على علاقة البلاغة بالتداولية .

1-تقاطع البلاغة مع الأسلوبية:

إن من أهم العلوم التي ارتبطت بها البلاغة في الدراسات الأدبية و النقدية و تداخلت مواضيعها مع بعض نجد علم الأسلوبية،الذي ارتبط أو التقى معها في " دراسة التركيب اللغوي من حيث أدائه للمعنى ، ومن حيث تنوع هذا الأداء ، ومن حيث مطابقته لحالة المخاطبين. وبهذا فقد اتجهوا بكل ذلك إلى ما فعلته الأسلوبية التي درست الخطاب الفني دون الخطاب العادي ، و أدركوا أنه مناط الاهتمام ومركز الثقل، و تغاضوا عن الجوانب النفسية والاجتماعية"²و بإدراج هذه الجوانب في المقاربة التداولية يودي إلى التعرف على مستويات القراءة و أحواهم النفسية و نظهم الخاص للعلم ،فالقارئ يبحث عن المعنى من خلال تقسيم البلاغة إلى أبوابها أو علومها للتعرف على الموضوعات البلاغية و إذا نظرنا إلى الاختيار الأسلوبي و جدنا أن التعرض إلى المعنى الناشئ عن التركيب اللغوي لفهم مجموعة " الظواهر البلاغية و الأسلوبية ، فكما للبلاغة موضوعاتها و علومها فللأسلوبية كذلك إجراءاتها و مستوياتها ، إلا أن البلاغة حينما تتوجه إلى القارئ تهدف إلى إقناعه و التأثير فيه،غير أن الأسلوبية ترتبط بالأسلوب من خلال النص والكاتب و القارئ ، كالظواهر البلاغية المتمثلة في :

"ظواهر لغوية مثل اختيار الأصوات والمفردات و التراكيب و المجازات.

ظواهر فوق لغوية مثل وسائل الإقناع والسرد .

ظواهر سياقية مثل زمان الحديث البلاغي ومكانه .

ظواهر سيميوطيقية غير لغوية مثل الموسيقى و الصورة والحركة."³

1- سليمان بن سمعون، البلاغة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النص، 2012، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 17، ص 14.

2- محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، دار نوبال للطباعة ، القاهرة ، ط1991، ص1، ص47.

3- ينظر : عماد عبد المطلب ، بلاغة المخاطب ، 22-24 نوفمبر ، مجلة جامعة القاهرة ، ص 19.

وإضافة إلى ذلك فإن كل ما قدمته الأسلوبية من دراسة علمية موضوعية للأسلوب فقد قدم التحليل البلاغي بعض ذلك من خلال فهم بنائية النص الأدبي من حيث العدول عن الاستعمالات المألوفة للتعبير اللغوي ، بل إن علم البلاغة يعتبر من أهم العلوم التي ساهمت في إرساء نظرية للمعنى و فهم كفاءات بناء النصوص الأدبية: " و إذا كان قد قيل بان البلاغة هي علم أسلوب الأقدمين، فمن الملاحظ أن حظها من العلم كان يوازي بل يفوق في بعض الأحيان تصورات العلوم الأخرى ، فكثير من تحليلات التراث البلاغي المتصلة بمضمون التعبير تضاهي المنطقة التي يغطيها علم اللغة الحديث من قضايا تتصل باللغة والفكر و الفصاحة و بأشكال القول و تكوينه مما يشمل جوانبه الثلاثة: الصوتية ، المعجمية و النحوية "1

ومن أهم الأسئلة التي طرحت في هذا المجال: ماهي حدود هذين العلمين و هل يعتبر علم الأسلوب علما مكتملا للبلاغة ؟ أم هو علم قائم بذاته ؟ .

كانت البلاغة" عاملا في وجود الأسلوبية وهي علم للتعبير و علم للأدب في آن واحد، و هناك من رأى أن الأسلوبية بلاغة حديثة، إذ البلاغة في خطوطها العريضة تكون فنا للكتابة ، و فنا للتأليف و هما سمتان قائمتان في الأسلوبية"2، "فالأسلوبية هي دراسة للأسلوب الأدبي وخصائصه و مميزاته ، فهي تدرس الصور الشعرية ، والإيقاع ، وقضايا التركيب أي تدرس النظام اللغوي ومكوناته للوصول إلى تحقيق الأثر الجمالي الكامن في النصوص ، وهي بذلك تستفيد الأسلوبية مما قدمته البلاغة من إجراءات في فهم طبيعة تشكيل النصوص ، و بغض النظر عن هذا التداخل بين العلوم فإن الأسلوبية اكتسبت جمالياتها من الإجراءات التحليلية التي اعتمدها وبذلك يمكن النظر في إمكانية تداخل البلاغة "3مع الأسلوبية حيث يتم فهم العلاقة الموجودة بين الشكل و المعنى في البلاغة و حتى في غيرها من العلوم ، و بعد هذا يمكن أن نعرف الأسلوبية بأنها" التحليل اللغوي الذي يكشف و يبين السمات الأسلوبية داخل النص الأدبي و قد قيل بأن هناك علاقات وطيدة بين البلاغة و غيرها من العلوم فإنها تتجلى في علاقاتها بالنقد كان النقد يدرس في أثناء الإطار البلاغي ثم اختلطت المؤلفات النقدية و المؤلفات البلاغية فأصبحت فترة من تاريخ الفكر النقدي البلاغي ، ثم أصبحت البلاغة في إطار المفهوم النقدي.4" ونلاحظ من خلال هذا التعريف أن " كل شكل مجازي إنما هو شكل قائم بذاته ، ويتميز المجاز عموما عن التعبيرات غير المجازية ، بأنه يتضمن تعديلا خاصا يجعله مجازا ... وجوهر المجاز أنه ذو شكل

1صلاح فضل، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط2007، ص1، ص167.

2سليمان بن سمعون ، البلاغة و علاقتها بالتداولية و الأسلوبية وعلم النص ، 2012 ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، العدد 17 ، ص 49 .

3نفسه، ص 49-50.

4انظر: البلاغة و علاقتها بالتداولية و الأسلوبية وعلم النفس، ص 50.

أما التعبير البسيط الشائع فليس له شكل، أي أن الشكل البلاغي يمكن في الفصل بين العلامة و المعنى بين الدال و المدلول
1"

2-تقاطع البلاغة مع علم النص:

في إطار علاقة الدرس البلاغي بعلم النص طرح الباحث الهولندي فكرة مفادها: "هل نستطيع أن نختزل علم البلاغة إلى علم النص؟ بقوله " أن البلاغة هي السابقة لعلم النص إذ نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد و وظائفها المتعددة ، لكننا نؤثر مصطلح علم النص لأن كلمة بلاغة ترتبط حالياً بأشكال أسلوبية خاصة "2و لذلك يطلق فان ذلك مصطلح علم النص على تحليل النصوص ، وتحديد أبنيتها و خصائصها و وظائفها ،وما دام النص يتكون من أنظمة لغوية متداخلة ، وهذه العلوم هي التي تشكل التحليل النصي :

كالنحو و الدلالة والتداولية ، و قد شكلت الخواص التركيبية الدلالية و الاتصالية للنصوص صلب البحث النصي ، بمعنى إن البحث يتحقق على مستويات وهي: " المستوى النحوي ،المستوى الدلالي ، المستوى التداولي بالمفهوم الواسع للكلمة ، و لا يميز الفصلين بين هذه المستويات "3" فالمستوى النحوي يدرس العلاقات بين العناصر اللغوية فيما بينها ، والدلالي يدرس العلامات وعلاقتها بالواقع ، والتداولي يدرس توصيل العلامات بين المتخاطبين ، لذلك يمكن إدراج التحليل البلاغي أو الأسلوبية ضمن هذه المستويات لأنها كلها تحيل إلى المعنى دون حصره في علم البلاغة ، ولكن البلاغة مندرجة داخل هذه العلوم لأن الأصل في معناها طريقة تركيب الجملة من مختلف المستويات."4

3-علاقة البلاغة بالسيمياتيات:

تفطن العرب القدامى لأهمية كلمة السيمياء التي وردت في معاجمهم بحيث ردها إلى القرآن الكريم و الدين الإسلامي ، و بتركيزنا على الموروث البلاغي بالذات وعلاقته بالسيمياتية " نجد الجاحظ يرفد الدراسات العلمية ببحث سيميائي مميز نلخص ملاحظه فيما يلي : في أن الجاحظ عد العلامات والإشارات التي أدل علة المعنى و هي خمسة أشياء اللفظ ، و الإشارة ، والعقد ، والخطأ ،والحل كما فصل الإشارات الناقلة للمعاني و شرحه لكيفيتها و تطورها و تحديده للمواقف الاجتماعية التي يستدعي لتعبير بالإشارة كالرغبة في سير بعض الأمور ، وإخفائها عن الحاضرين."5، كذلك نجد أن ابن قتيبة يشير إلى الوسائل غير اللفظية وهي الاستدلال بالعين ، والإشارة و النصبه ، ولقد بلغت السيمياء عند علماء البلاغة كثيراً من الرقي سمح لها أن يجعل لكل موقف الإشارات التي تحضنه مما يقوم مقام اللفظ " لأن اختلاف

1صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، ص 168-169.

2البلاغة و علاقتها بالتداولية و الأسلوبية وعلم النص ، ص 50.

3نفسه ، ص 51.

4-البلاغة وعلاقتها بالأسلوبية وعلم النص والتداولية ، ص 55.

5لخنداري سعد ، الأنساق البلاغية القديمة وموقعها من السيمياء وتحليل الخطاب ، بجاية ، ب ط ، د ت ، ص 13-14.

الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات و إلى اختلاف النغمات ، فان لكل إنسان نغمة خصوصية يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر "1 و هكذا كان مصطلح السيمياء بالمعنى اللغوي المقابل للعلامات معروفة عند العرب ، ويشهد له قوله تعالى " ومنه شجرة فيه تسيمون" 2 فقد فسرها العلماء على " أنالسيمياء هي السيماء و هي العلامات ، وهذا ما يتسع المقام للحديث عن بعض الآراء و المفاهيمالسيميائية التي وظفت البلاغة وهو مايسمى بتظافر الاختصاصات بحق نقف نتأمل في التراث البلاغي العربي فنجد الكثير من المسائل تحتاج إلى الدراسة و التمحيص لغرض بحثها و توظيفها ، فهي تشترك مع البلاغة في فهم كيفية بناء النصوص حيث تشركان فيالتعبير عن المعنى الإيحائي و لكن لكل علم مصطلحات الخاصة به ، واللغة المجازية أوالإيحائية والسيميائية تفرق بين المعنى السطحي و المعنى العميق "3

4-تقاطع البلاغة مع التداولية:

لاشك في أن البلاغة هي احد العلوم المهتمة بالمعنى وهي على علاقة وثيقة بالأدب لأنها ترمي إلى توصيل غاية إلى المتلقي قصد التأثير فيه أوإقناعه ، و تقديم الحجج الهادفة وإقناعه "ويحق أن التحليل البلاغي وإن أسهم في إبراز المكون الحجاجي الذي تبني عليه معظم الأعمال الأدبية الكلاسيكية إلا أنها لايمكنها اختزال تلك الأعمال فيما تضطلع به من وظائف تأثيرية عملية أنه سيظل تحليلا يتطلب نوع من الإنتاج الأدبي للأعمال الكلاسيكية و الشعر السياسي "4

فماهي العلاقة بين البلاغة والتداولية ؟ وهل يمكن إقصاءأحدهما في الدراسة الأدبية؟وإذا كانت التداولية هي علم الاستعمال اللغوي وهي: " الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام ... وما يغنيا منه إنما هو التداولية اللغوية، لأنها تقربنا من الوصف النحوي للنصوص."5

إن العلاقة بين التداولية والبلاغة تتمثل في رصد كفاءات إيصال المعنى إلى المتلقي لأنه هو الذي يعيد إنتاج الرسالة من خلال فعل القراءة و لا بد من أن يتمكن من فك شفرة هذه الرسالة ولايكون ذلك إلا بإعادة تحليلها وفق الفهم .

كما أن إمكانية إقصاء أحد العلمين إما البلاغة وإما التداولية ليست واردة هنا ذلك أن فهم البلاغة يعني فهم التداولية فهما علمان متداخلان ، وقد تطور هذا التداخل فيما بعد إلى أن أصبحت التداولية تهتم بالسياق وأنواعه ونظريات أفعال الكلام وهذا كله موجود في الدراسة البلاغية للأدب " وقد كانت التداولية في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسميولوجيا وهي العلاقات أو الرموز ودلالاتها ، وعمليات توصيلها ، فكانت التداولية تعني بهذا القسم الأخير

1 نفسه، ص 14.

2سورة النحل، الآية: 10.

3البلاغة و علاقتها بالتداولية و الأسلوبية و علم النص ، ص 91 .

4مُجد مشبال ، البلاغة و الأدب ، دار العين ، القاهرة، ط1، 2010 ، ص 50.

5بلاغة النص ، ص 31.

.... ولهذا فإن التداولية اهتمت أولا بوصف العلاقة بين العلامات ومن سيستخدمونها ثم لم تلبث أن حلت كلمة نصوص محل علامات بحيث أصبحت التداولية تعنى بتحليل العلاقة بين النص ومن سيستخدمه.¹

وهذا كله يرجع إلى المعنى الذي يربط بين العلمين ولا يتم هذا إلا من خلال تحديد السياق لأن غاية المرسل هي إفهام المرسل إليه حيث يشترط فيه سياق الموقف أو المقام و السياق اللغوي ، وذلك أن المعنى لا يرتبط بكلمة فقط وهي حالة الأفراد ، وإنما يعني دخولها في علاقات متبادلة مع كلمات أخرى تختلف معها وتتشابه لأداء المعنى التركيبي حيث يقصد بالسياق اللغوي " الإطار الداخلي أو البنية الداخلية للغة دون الرجوع إلى المجتمع."² وللمعنى دور هام سواء في البلاغة أو التداولية بحيث لا يمكن الفصل فيه بين السياقين اللغوي و المقامي لأن الدلالة لا يمكن أن تستقل بمستوى لغوي واحد وهذا ما يثبت العلاقة المتينة بين العلمين "ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة بعبارة مقتضى الحال. وباعتبار أن التداولية علما يهتم بالعلاقات اللغوية في حالة الاستعمال فهي مرتبطة بكيفيات استعمال هذه العلامات من قبل المتكلمين و المتلقين وهذا ما ساعد على تطور البلاغة ونشأتها."³ وأهم علاقة تجمعهما هي أن البلاغة و التداولية تعتمدان على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي، على اساس المقولة الشهيرة في البلاغة لكل مقام مقال ، وفي التداولية مراعاة الموقف الخطابي أو سياق المقام وهذا ما سوف نقوم بالتفصيل فيه من خلال هذا البحث .

1 بلاغة الخطاب ، ص 141.

2 حاسم محمد عبد العبود ، مصطلحات الدلالة العربية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1، 2004، ص 141.

3 ينظر: البلاغة وعلاقتها بالتداولية و الأسلوبية وعلم النفس ، ص 48

الفصل الأول :

تقاطعات البلاغة والتداولية

المبحث الأول:

تقاطعات على مستوى المفاهيم والمصطلحات

1- على مستوى الأفعال الكلامية

2- على مستوى السياق

3- على مستوى المعاني والمقاصد

المبحث الأول: تقاطعات على مستوى المفاهيم والمصطلحات

أ- على مستوى الأفعال الكلامية:

توطئة:

رغم أن التداولية علم حديث النشأة إلا أن جذوره من التراث العربي القديم فهي تلتقي مع عدة علوم منها علم الدلالة، علم النفس، علم الاجتماع، وعلم النص، وكذلك مع علم النحو ومع البلاغة التي هي موضوع دراستنا في هذا البحث، فالتداولية هي تأصيل للدرس البلاغي تتقاطع معه في عدة مصطلحات ومفاهيم. وفي هذا المبحث سنحاول عرض أهم المفاهيم أو القضايا التي تشترك فيها التداولية مع البلاغة. ومن هذه المفاهيم: الأفعال الكلامية، السياق، القصد..... إلخ عند كل من التداوليين والبلاغيين.

– الأفعال الكلامية عند التداوليين:

تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم جوانب اللسانيات التداولية لما تحويه من أفكار و رؤى لسانية مهمة، وما تتضمنه من آليات تشترك فيها مع بقية جوانب اللسانيات التداولية (القصد، الإفادة، الحجاج) ولذلك لقيت اهتماما بالغاً في الدراسات الحديثة، وتقوم نظرية أفعال الكلام على فرضية أساس مفادها أنه يقصد بالكلام تبادل المعلومات والقيام بفعل خاضع لقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، ويهدف هذا الفعل إلى تفسير وضعية المتلقي ونظام معتقداته ومواقفه السلوكية.¹

وهي نظرية قائمة بذاتها في الدرس اللغوي، وقد مرت هذه النظرية في أثناء ظهورها بمراحل هي :

أ- مرحلة التأسيس مع أوستين:

"جاءت نظرية الفعل الكلامي عند أوستين لتجسد موقفاً مضاداً للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعي القائل بأن الجملة الخبرية هي الجملة المعيارية، وماعداها من أنماط مختلفة للجملة وهي متفرعة عنها، فأول ما قام به أوسين صنف من الجمل ذات الصيغة الخبرية، غير ماميزها الوضعيون، مما لا يقبل الصدق والكذب ثم أي الجوانب الرئيسية لمساهمة أوستين² يمكن عرضها في ثلاث مراحل:

*"تقسيم الجمل ذات الصيغة الخبرية إلى وصفية وإنجازية:

1- مجّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي المغرب، لبنان، ط3، 1992، ص139.

2- ينظر: فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ط2007، 1، ص59.

عمق أوستين مفهوم الجملة التي تقبل الصدق والكذب ، بحيث لم تعد مجرد جملة ذات صيغة خبرية، بل يجب ان تكون جملة وضعية مستقطعا من الجمل ذات الصيغة الخبرية الجمل التي لايراد بها الوصف، بل يراد بها القسم الآخر من الجمل ذات الصيغة الخبرية وهي الجمل الإنجازية، وقد وضع معيارين أساسيين¹ وهما:

- "اشتمال الجملة على فعل بصيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد مثل "أعدك بكذا" بصيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد"²

- "اشتمال الجملة على فعل بصيغة المبني للمجهول بضمير المخاطب أو الغائب مثل: "المسافرون ملزمون بوجود العبور بطريق الجسر فقط "هنا رأى أوستين أن هذه الجمل تقبل تقسيما خاصا بها غير التقويم الذي تقبله الجمل الخبرية، بصدقها أو كذبها ، ونجاحها أو فشلها."³

*إعادة النظر في التقسيم السابق: رأى أوستين أن هناك جملا لا تشتمل على صيغة الفعل سابقا وهي إنجازية، وكذلك هناك جمل تشتمل على هذه الصيغة لكنها وصفية ومن أمثلة ذلك: "سأكون هناك". لا تشتمل على فعل من الصيغة المذكورة، وهي مع ذلك قد تكون إنجازية كما لو أريد بها نفس ما يراد بـ : أعدك سأذهب هناك.

*تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال:

أ- "فعل القول: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة ، ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية."⁴

ب- "الفعل المتضمن في القول: هو قيام ضمن قول الشيء." ⁵ في مقابل القيام بفعل هو قول الشيء، وهذا الفعل هو الذي يعد لب نظرية الأفعال الكلامية التي غدت تعرف به، ولذا اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية."⁶

ج- "الفعل الناتج عن القول: وهو الفعل الناتج عن إصدار سلسلة من الأفعال القولية المصحوبة بقوى إنجازية، فحين نقول شيئا ما قد يترتب عنه أحيانا بعض الآثار على مشاعر المخاطب ، أو أفكاره أو تصرفاته، كما قد يقع أن تتعمد أحداث مثل هذه الأفكار عن قصد . ويمكن تلخيص الفعل الكلامي كالاتي

¹- ينظر : التداولية عند العلماء العرب، ص40.

²- تحليل الخطاب الشعري، ص5.

³- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين، طالب سيد هاشم الطبطبائي، الكويت، د ط ، 1994 ص5-6.

⁴- مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008، ص55.

⁵- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة والمعاصرين ، ص.18

⁶- نفسه ص.28

الفعل الكلامي: فعل القول + الفعل المتضمن في القول + الفعل الناتج عن القول . "1

ولاحظ أنه للفعل الكلامي عند أوستين ثلاثة خصائص هي:

أنه فعل دال .

أنه فعل إنجازي .

*تقسيم أوستين للأفعال الكلامية: اتبع أوستين في تقسيمها المنهج التالي:

"الحكميات: وهي التي تعبر عن حكم، تتمثل في حكم يصدره قاض، غير أنه ليس من الضروري أن تكون هذه الأحكام نهائية.

.التمرسية: وهي التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص ، أو ضده.

.الوعديات: وهي التي التزام المتكلم بتصرف أو نشاط معين.

. السلوكيات: هي التي عن رد فعل سلوك الآخرين و مواقفهم و مصائرهم... كالاعتذارو الشكر .

.التبينات: و هي التي تستخدم لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي و ذكر الحجة كالأثبات ، و الإنكار و المطابقة و الاعتراض... إلخ. "2

ب-الأفعال الكلامية عند سيرل:"ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمال اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية قائمة على أن الكلام محكوم بقواعد مقصدية وأن هذه القواعد يمكن أن تحدد على أسس منهجية واضحة ومتصلة باللغة. "3

من إنجازاته:

"تعديل التقسيم الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية جعله أربعة أقسام أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري لكنه جعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:

الفعل النطقي: يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

الفعل القضوي: يشمل المتحدث عنه أو المرجع و المتحدث به أ الخبر.

1- التداولية عند العلماء العرب، ص.358.

2- ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، مرجع سابق ، ص 10. و خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ط1، 2009، ص97. و محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص69.

3- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص.271.

الفعل الإنجازي-الفعل التأثيري."1

"والفعل عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم ، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي و الاجتماعي . كما أنه يعتبر أنه أول من أ وضع فكرة (أوستين) السابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل ، هذا إلى جانب بيانه شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى ، وآليات كذلك ، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود ."

*تصنيف سيرل للأفعال الكلامية: تصنيف سيرل يقوم على ثلاثة أسس منهجية ورد ذكرها في الأبعاد التي يختلف بها عن فعل إنجازي عن الآخر وهذه الأسس هي

"الغرض الإنجازي-اتجاه المطابقة-شروط الإخلاص."3

وسرعان ما أعاد(سيرل) اقتراح خمسة أصناف لها:

"الأخبار: (تبلغ خبرا ، وهي تمثيل للواقع)وتسمى أيضا : التأكيدات، الأفعال الحكمية.

. الأوامر: تحمل المخاطب على فعل معين.

.الإلزامية (أفعال التعهد ، وهي أفعال التكليف عند أوستين، حين يلتزم المتكلم بفعل شيء معين.

.التصريحيات : وهي الأفعال التمرسية عند أوستين ، وتعبر عن حالة ، مع شروط صدقها .

كما أنه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، منها: غاية الفعل، توجيهه، حالته السيكلوجية....وسماها شروط النجاح . "4 كما أنه" ألح على انقسام الفعل اللغوي والطابع الخاص الذي تنطوي عليه بعض

الأفعال المسماة ب غير المباشرة."5

نتقل الآن إلى ظاهرة الأفعال الكلامية عند البلاغيين التي تناولوها ضمن مباحث علم المعاني وتحديدًا في الخبر والإنشاء .

-الأفعال الكلامية عند البلاغيين (الخبر و الإنشاء):

إن مدار البلاغة -عندهم- هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، والحال هي مايدعو المتكلم إلى إيراد كلامه على وجه مخصوص يقتضيه المقام التخاطبي ليؤدي به المعنى المقصود إلى المخاطب . ومقتضى الحال مختلف كما أن

31- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص71.

2- مبادئ في اللسانيات التداولية، ص.498.

3- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص.57.

4- في اللسانيات التداولية، ص 99-100.

5- الجيلالي دالاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجزائر، ب ط، 1992، ص. 225.

مقامات الكلام متفاوتة ومختلفة "فمقام التنكير يبين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد ، ومقام التقديم يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف...."1

وهكذا فإن لكل مقام مقال تقتضيه الظروف والملابسات المحيطة بالخطاب وأحوال المتخاطبين، وهو ما يؤكد عناية البلاغيين العرب واهتماماتهم بالبعد التداولي للغة ، وبخاصة ما يتعلق بظاهرة الأفعال الكلامية التي تبرز بوضوح من خلال كثير من الأساليب البلاغية . "وتعتبر الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين ، ومحاوله إثبات وجودها في التراث العربي ومحاولة تأصيلها كظاهرة خطابية عامة ، كما كانت حقلا مشتركا بين تخصصات علمية متعددة ، ثم صار متعينا على من يدرسها أن يتتبع فروعها و تطبيقاتها."2

وبذلك فإن دراسة العلماء لمعاني الكلام ضمن مباحث الخبر والإنشاء ، واهتماماتهم بالمقامات التخاطبية، وكل ذلك لا يختلف عن ماتعرضه نظرية الأفعال الكلامية في الدرس الغربي، وسوف نتكلم عن كيفية تناول أولئك القدماء لظاهري الخبر والإنشاء مع التركيز على الجهود التداولية للبلاغيين في تعاملهم مع هذه الظاهرة التي نالت عناية واهتمام في التراث اللغوي العربي عند كل من النحاة و البلاغيين و علماء الأصول، و بما أن هذه الظاهرة تمثل المحور الذي تدور حوله دراسات القدماء على اختلاف تخصصاتهم إلا أنهم اختلفوا في مسألة التمييز بين هذين الأسلوبين (الأساليب الإنشائية) واعتمدوا على معايير منطقية و أخرى تداولية متداخلة فيما بينهما بحيث يصعب الفصل بين الجانب التداولي والجانب المنطقي ومن هذه المعايير"3

أ-المعيار الأول:

الصدق والكذب: إن التمييز الأشهر عندهم بين الخبر والإنشاء هو أن الخبر هو الذي يحتمل الصدق إذا كان مطابقا للواقع ، والكذب إذا كان غير مطابقا للواقع . ورأى الجاحظ أن الخبر ثلاثة أقسام : خبر صادق ، خبر كاذب، خبر لا هو بالصادق ولا بالكاذب .

و الغرض في الخبر أن يلقي لأحد الغرضين:

1- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له ، ويسمى هذا النوع فائدة الخبر .

2- إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم أيضا ، ويسمى لازم الفائدة .

1- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، ط 3،

1993، ج 1، ص 42 .

2- ينظر: التداولية عند العلماء العرب ، ص 174.

3- التداولية عند العلماء العرب، ص 283.

وهناك أغراض أخرى تفهم من السياق : كالإسترخام ، والإستعطاف، إظهار الضعف والخشوع، إظهار التحسر، الفخر، التوبيخ، المدح.....1

ويرى السكاكي أنه من غير الممكن تعريف الخبر والإنشاء أو الطلب بحسب اصطلاحه ، فهو يقف مع يقف مع من استغنوا عن تعريفهما ، ثم يذكر أن الخبر والطلب "يفترقان باللازم المشهور ، وهو احتمال الصدق والكذب"2

وعليه فإن تصور أولئك العلماء في هذه المرحلة للخبر هو: (الكلام التام المفيد أو الخطاب التواصلية الذي يقبل الصدق والكذب.) ، والإنشاء هو أيضا: (الكلام التام المفيد أو الخطاب التواصلية لكن الذي لا يقبل الصدق والكذب) .

ب-المعيار الثاني:

التمييز بحسب مطابقة النسبة الخارجية:

حاول البلاغيون في هذه المرحلة التخلي عن مذهب السكاكي في عدم تحديده لتعريف للخبر والطلب ، فقد سعوا إلى تحليل مفهومهما أكثر دقة.

فالقزويني يميز بينهما من حيث "أن الكلام إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه ، فالأول الخبر ، والثاني الإنشاء."3 وهذا يعني أن الخبر نسبة معلوم بالنفي أو الإثبات.

كما يرى التفتازاني " أن الكلام إذا كان لنسبته خارج في أحد الأزمنة الثلاثة تطابقه ، أي أن تطابق تلك النسبة ذلك الخارج بأن يكونا ثبوتيين أو سلبيين ، أو لا تطابقه، بأن تكون النسبة مفهومة من الكلام ثبوتية ، والتي بينهما في الخارج والواقع سلبية أو العكس، فهو خبر، هذا الخبر في نظر التفتازاني ، أما الإنشاء بمقابلة المفهوم السابق ، هو ألا يكون لنسبة خارج."4 ونستنتج من هدة النصوص أن الخبر هو: الكلام التام المفيد أو الخطاب التواصلية الذي لنسبته الكلامية نسبة خارجية ، وأن الإنشاء ليس له نسبة .وقد وردت عدة إشكالات في هذا التمييز منها:

1- مُجَدُّ أَحْمَد قَاسِم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس - لبنان ، د ط، 2008، ص 270-271.

2- السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار المكتبة العلمية ، بيروت-لبنان، ط2، 1978 ص 253.

3- الإيضاح في علوم البلاغة، ص 16.

4- سعد الدين التفتازاني ، المختصر في شرح تلخيص المفتاح للقزويني ، القاهرة، 1944، ج 1، ص 60-61.

*أن هناك جمل خبرية من قبيل: (ستطلع الشمس غدا) هذه الجملة ليس لها نسبة خارجية حين إطلاقها ، فالإشكال هنا في المطابقة الزمنية الناشئة عن التباين في زمن الإخبار بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية، فالنفتازاني يرى أنه "يكفي أن توجد النسبة في أي وقت من الأزمنة الثلاثة "1، أما الإيراد الذي أوضحه الدسوقي فهو: "أن الزمن المعتبر من الأزمنة الثلاثة هو الموافق لما اعتبرته النسبة الكلامية ، ففي المثال السابق: ستطلع الشمس غدا زمنه المعتبر هو الإستقبال، أما في هذا المثال: طلعت الشمس أمس .زمنه المعتبر هو الماضي."2

*أن الإنشاء كالخبر تماما له نسبة خارجية يمكن أن تطابقها النسبة الكلامية أو لاتطابقها: (هل مجيد قائم؟) وقولنا (قم) في رأي الدسوقي "كلا الملفوظين له نسبة خارجية ، فالنسبة الكلامية للأول طلب الفهم من المخاطب ، ولالثاني طلب القيام منه، والنسبة الخارجية لهما هي الطلب النفسي للفهم في الأول وللقيام في الثاني."3

ج-المعيار الثالث:

التمييز بحسب إيجاد النسبة في الخارج: مزج ابن يعقوب المغربي بين التحليل المنطقي والتحليل التداولي ، فهو يرى أن "الكلام التام الذي يحسن السكوت عليه...يتضمن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد منها الدلالة على أن تلك النسبة حصلت في الواقع... بين معنى المسند ومعنى المسند إليه ، فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد منه الدلالة على أن اللفظ وجدت به تلك النسبة فالكلام إنشاء."4

وقد نجد المخرج أيضا في رأي أورده السبكي، وهو قريب من هذا، قال: "وقيل الكلام لا يخلو إما أن يمكن أن يحصل للمخاطب من غير أن يستفاد من المتكلم مثل زيد منطلق ، فإنه يمكن علمه بالمشاهدة أو لا يمكن أن يحصل إلا بالإستفادة من المتكلم نحو اضرب أو لا تضرب ، فالأول خبر والثاني إنشاء ، فهو يرى أن الكلام الذي يعلمه المخاطب من دون حاجة إلى المتكلم هو الخبر، وأن الكلام الذي لايمكن أن يستفاده المخاطب لإمن المتكلم هو الإنشاء ."5

"والتمييز عند ابن حاجب هو في الاختلاف في النسبة الكلامية ، إذ النسبة الكلامية للإنشاء تتكيف بكيفية مخصوصة دون النسبة الكلامية للخبر ، ومراد ابن الحاجب حسب سياق كلامه تكيف النسبة الكلامية للعبارة الإنشائية وليس النسبة الخارجية بدليل قوله : المتكلم أفاد المخاطب هذه النسبة بين المسند والمسند إليه والإسناد

1-المختصر في شرح تلخيص المفتاح ، ص 165.

2- الدسوقي محمد بن عرفة، شرح الدسوقي على مختصر النفتازاني، ص 165-366.

3-ينظر: نفسه، ص370.

4- ابن يعقوب ، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ج1، 168.

5-ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ص

لا يكون إلا في مستوى اللغة ، والإفادة تكون للإسناد ، أي النسبة الكلامية ، فالتكيف للخطاب الملفوظ وليس للحقيقة الخارجية.¹

ويمكن التمييز بين الأسلوبين عن طرق التأليف بين تلك الآراء فيكون :

الخبر: هو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم نسبه الكلامية أن تطابق نسبه الخارجية .

الإنشاء : هو الخطاب التواصلي المكتمل إفاديا والذي يريد المتكلم من نسبه الكلامية أن توجد نسبه الخارجية.2

نلاحظ أنه بظهور نظرية الأفعال الكلامية تغيرت تلك النظرة القديمة التي كانت تعتبر اللغة مجرد وسيلة للوصف والإخبار عن الواقع إلى كونها أداة فاعلة في بناء العالم والتأثير فيه ، وألغت بذلك جميع الحدود القائمة بين الكلام والفعل.

1- التداولية عند العلماء العرب، ص 99-101-102.

2- نفسه، ص 109-110.

ب- على مستوى السياق :

- السياق عند التداوليين: تعد دراسة السياق محل اهتمام القضايا التداولية جميعا، لأن تحليل الجمل يخضع إلى السياق وكذلك تحليل أفعال الكلام ، وقوانين الخطاب ، مسائل الملفوظية، والقضايا الحجاجية وغيرها، وربما يمكن القول بان اهتمام الدرس التداولي كله ينصب في بحث مدى ارتباط النص بالسياق، فالسياق يعني الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات والمتضمن بدوره لكل ما يحتاجه فهم وتقييم ، ويرتبط بمفهوم الكفاءة التي تعتبر إشارة اعتماد التداولية لاستعمال اللغة في السياق وبه تتحدد كفاءة وميزات المتكلمين، فهو "مفهوم مركزي يمتلك طابعه التداولي ، ولكننا لانعرف أين يبدأ؟ وأين ينتهي؟" 1

ولذلك تعددت أنواعه فذكروا منها:

*السياق الظرفي أو الفعلي: يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانيا ومكانيا .

*السياق التداولي (الموقفي) : يتضمن الغايات الممارسة خطايا .

*السياق الإقتضائي: يرتبط بحس المتخاطبين .

*السياق اللغوي(النص المساعد): هو مجموع الكلمات المجاورة التي تحدد مدلول الكلمة .

*السياق غير اللغوي : هو " مجموع الظروف الإجتماعية التي تحدد مدلول الخطابات." 2

وأهم ماتعرض له الدارسون في موضوع السياق أنهم ميزوا بينه، وبين المقام بقولهم: "أنه مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الاحتفال بها حتى يوفق في إنجاز فعله اللغوي.

ويميز جورج مونان بينهما في معجمه، فيقول:

وينبغي تمييز السياق الذي هو لساني ، عن المقام الذي هو الخبرة غير اللسانية في المقام نشير إلى قلم على الطاولة ، قائلين أعطني إيّاه.ونكتب مقابل ذلك أعطني القلم الذي على الطاولة ، رادين المقام الغائب إلى السياق اللساني

فعبارة (الذي على الطاولة) توضح السياق، وتغني عنها الإشارة باليد أو غيرها في المقام فالسياق -إذن - ذو مفهوم لساني، أما المقام فوضعي غير لساني. لذلك إذا قلنا سياق المقام أو سياق الموقف الاتصالي ، فإن مدلوله لا يختلف عن مدلول السياق لسانيا، لأن في ذلك دجما هو لساني بما هو غير لساني³، ويعني: " المعطيات التي

1- في اللسانيات التداولية، ص 114.

2- نفسه، ص 115-116.

3-مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 40.

يشترك فيها المرسل والمتلقي حول المقام الثقافي والنفسي، والتجارب المشتركة بينهما، والمعارف الخاصة بكل منهما.¹

ونستخلص أن العلاقة بينهما علاقة تكامل، حيث يسمح المقام بإزالة الإبهام عن الجملة وبغني المعلومات التي يعطيها لئلا تكون بحاجة إلى التعبير عنها باللغة.

كذلك مصطلح السياق يطلق على مفهومين :

- "السياق اللغوي

- سياق التلفظ، أو سياق الحال، أو سياق الموقف.

المفهوم الأول أكثر شيوعاً في البحث المعاصر، فهو الجواب البديهي عندما يتبادر إلى الذهن السؤال الهام، ماهو السياق؟ إنه حسب المعجم تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها، ويتضح بهذا المفهوم أنه تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب، من وحدات صوتية، وصرفية، ومعجمية، وما بينهما من ترتيب وعلاقات تركيبية، ولكن هذا التعريف لا يمثل في عمومها إلا التعريف الضيق، إن مصطلح السياق من المصطلحات الشائعة والمؤثرة في الدرس اللغوي الحديث.² منذ ابتدعه (مالمينوفسكي) "ليسع مفهوم السياق، خصوصاً في الدراسات التداولية، بما أنها تعد أساساً من أسسها المكيئة وبهذا تجاوز الباحثون التعريف النموذجي إلى التعريف الأرحب للسياق، فأصبحت : تعرف مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام، وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق.³ وهناك إشكال آخر وهو كيف تحدد العناصر السياقية؟

"يشير مُجدّ خطابي إلى أن العناصر السياقية قد تتسع حسب تصنيف هاريس لتشمل : المتكلم، المخاطب، المشاركون، الموضوع، القناة، المقام، السنن، جنس الرسالة، الحدث المقصد، لكن ليس من الضروري الاحتفاظ بكل هذه العناصر. ويمكن حسب براون ويول الاكتفاء بمايلي: المتكلم، المخاطب، الرسالة، الزمان، المكان، ونوع الرسالة. إذا تمكنا من تحديد عناصر السياق وحصرها في المحددات الشخصية، المكانية، والزمانية، فأى سياق يتم التحدث عنه؟ وهل هو السياق الذي تم فيه الحديث؟ لأم السياق المستنبطين (الحديث/النص) ؟ فالنصوص

1- فياللسانيات التداولية، ص 116-117.

2- استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ص40.

3- نفسه ص 41.

تتمفي سياق معين لمحدداته، كما أنها تزخر بمحددات سياقية، وبهذا نكون أمام أنواع متعددة من السياق يمكن حصرها كما أشارت الجهود العلمية فيما يلي: ¹

السياق النصي: وهو سياق القرائن أو ما يسمى بنحو النص.

السياق الوجودي: ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه (عالم الأشياء حالاتها، الأحداث) التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية ويتم الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك أن المرسل و المرسل إليه ، وكذلك موقعهم الزماني والمكاني وهي مؤشرات للسياق الوجودي .

"السياق المقامي: نعبر هنا عن شيء مادي خالص إلى شيء وسيط ثقافيا ويتميز المقام بالاعتراف به اجتماعيا بصفته متضمنا لغاية أو غايات وعلى معنى ملازم تتقاسمه الشخصيات المنتمية إلى نفس الثقافة. ²

"وأهم علاقة تجمع بين السياق والتداولية أنه عندما يتغير السياق يتغير معه القول والمفهوم ، ويجب أن يكون السياق سهلا وقريبا من المقصود، فلكل سياق قول ، وهذه الأقوال بدورها متوقفة على العوامل والمتكلمين، والعوامل الخارجية عنهم إذا توقف السياق الخاص دوما على السياق العام، ذلك ان وجود هذا الأخير يتوقف على غياب الاول ، من خلال تحويل السياق العام المشترك الذي حصل عليه الأديب من الدربة والروية ، إلى خاص انفرده به المتأثر بثقافة غيره وتداولها في معاينة وهذا لايقع من دون وعي المتأثر ، وله قواعد وأصول تتفق وما اصطلاح عليه النقاد العرب بالصياغة الفنية للشعر ، يقول أبو هلال العسكري أن المعاني مشتركة بين العقلاء فرما وقع المعنى الجديد للسوقي والنبطي والزنجي... وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ و رصفها"³ ووفق لهذا المعنى يعرف السياق بأنه: "مجموع شروط إنتاج القول ، وهي الشروط الخارجية عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معين ، يستمد وجوده من شخصية المتكلم ومستمعه. أو هو الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها ، فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها ."⁴ بمعنى أنه للوصول إلى المعنى يجب الانطلاق من المتكلم الذي يحاول إنجاح خطابه ، مروراً بمحتوى الرسالة وما يستلزمها من خصائص تضمن نجاح التواصل ، وصولاً إلى احتياجات السامع الذي يكيف الرسالة وفق احتياجاته.

-السياق عند البلاغيين: يعد مفهوم السياق من المفاهيم التي أسالت الكثير من الحبر في الفكر العربي المعاصر فالسياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ، ويطلق السياق على مفهومين:

- 1- شيتير رحيمة، التداولية وآفاق التحليل، جانفي-جوان، 2008، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، العددان الثاني والثالث، ص 4.
- 2- نفسه، ص 5.
- 3- أمل عبد الجبار ، السياق في البلاغة العربية القديمة تداوليا، 2015، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية، العدد 1، ص 14-15.
- 4- نفسه، ص 15.

"السياق اللغوي : هو معنى الكلمة في الجملة أو العبارة ، ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية ، والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب.

سياق التلفظ:، أو سياق الحال ، أو سياق الموقف : يمثله العالم الخارجي عن اللغة بماله صلة بالحدث اللغوي أو النص، ويتمثل في الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية للمتكلم والمشاركين في الكلام أيضا."1

يقول تمام حسان "لقد كان علماء الأمة الإسلامية ، عند اعترافهم بفكرة السياق بشقيه المقالي والمقامي متقدمين بأكثر من ألف سنة عن زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارها أساسين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة. وهذا يعني أن دراسة البلاغيين للسياق انصبت على فكرة مقتضى الحال والعلاقة بين المقال والمقام ، فمصطلح مقتضى الحال اهتم به علماء المعاني، يقول التهانوي الحال في إصلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص، أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ماهية المسماة بمقتضى الحال ، مثليكون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها."2

وربط عبد القاهر الجرجاني جميع القرائن النحوية من تضام، ورتبة، ومطابقة بمراعاة السياق اللغوي وسياق المقام يقول: "ومما يجب ضبطه هنا أيضا أن الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف أو اسقاط مذكور ، كان على وجهين : احدهما يكون امتناع تركه على ظاهره ولزم الحكم بحذف أو زيادة من أجل الكلام نفسه لامن حيث غرض المتكلم به وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزأي الجملة."3

فالبلاغيون جاء اهتمامهم بالسياق من خلال حديثهم عن المقام ، وعن معنى المقام ، والمقال، فالكلام البليغ عندهم هو ما يجب أن يكون مناسباً لما جاء من أجله . يقول السكاكي: "فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في ذلك يباين مقام الهزل.... ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الحال."4 وكذلك قول بشر بن المعتمر: " لكل مقام مقال"5، ويعلق الدكتور تمام حسان على هذه المقولة بقوله: حين قال البلاغيون : لكل مقام مقال لأن صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام ، وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة ، أو ذاك من أساليب الحقيقة ، أو المجاز أو الإخبار، أو الإستفهام وهلم جرا، ومن عبارتهم الشهيرة في هذه الصورة : "قولهم لكل كلمة مع صاحبها مقام، وبهذا المعنى يصبح العلم الجديد الذي يأتي من امتزاج النحو والمعاني مضمونا، لأنه يصبح شديد الارتباط بمعاني الجمل ومواطن استعمالها ، وما يناط بكل جملة منها من معنى ، ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة

1- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، لبنان- بيروت، د ط، ج 1، ص 616.

2- نفسه، ص 617.

3- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 421.

4- مفتاح العلوم، ص 168.

5- ينظر: صحيفة بشر في البيان والتبيين، ص 135.

المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زماهم لأنهما يعتبران من أسس تحليل المعنى.¹ فقد أدرك العلماء جيدا ماله من دور مهم في توجيه المعنى ، وأهم عناصره عند البلاغيين تتضح في : " المخاطب ، المخاطب ، والخطاب ، وظروف كل واحد منهما ، التي تتحكم في تعيين الدلالة والمناسبة التي قيلت فيها ، وبترايط هذه العناصر وتفاعلها يتشكل سياق الحال أو المقام ، الذي يحقق عملية الإبلاغ والتواصل .فالحال والمقام عند البلاغيين مرتبطان بالبعد الزمني والمكاني ، فالأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغة معينة إما ان تتصل بزمن الصياغة فهو ما يعبر عنه بالحال، وإما أن يتصل بالمحل فيسمى المقام.²

و استنتاجنا في المقارنة بين السياق عند التداوليين والسياق عند البلاغيين الذي يعرف بالمقام عندهم هو: أن السياق معطى غير ثابت، بل يتغير، فهو يبني قولاً بعد قول، فقيمة السياق تتجلى في تأويل الكلام، أما المقام فهو : كل ما يعين على فهم الحدث اللغوي ، وإبراز المعنى مهما كانت حالته.

ج-على مستوى المعاني والمقاصد

نتقل الآن إلى مفهوم آخر تتلاقى فيه البلاغة والتداولية هو القصد أو القصدية.

-**القصد عند التداوليين:** تعددت مفاهيم القصد في مختلف الدراسات النظرية ، سواء العربية أو الغربية فيدل القصد على ثلاثة أمور كما أوردها الشهري:

1- دال على الإرادة، دال على المعنى، دال على هدف الخطاب.

"يحملنا القصد إذن على ذلك المبدأ التداولي ، الذي اشتقه طه عبد الرحمان من التراث العربي الإسلامي والذي سماه مبدأ التصديق وهو كما صاغه، لاتقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك.ومن هذا المبدأ جعل عدة قواعد، أهمها قاعدة القصدوهي: لتتفقد قصدك في كل قول تلقي إلى الغير، ويترتب على هذه القاعدة أمران أساسيان: أحدهما وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة ، والآخر: إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول.³

ومن هذا المبدأ نستطيع أن نضيف دالتين لمفهوم القصد وهما:

"القصد بمفهوم الإرادة: يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنية لدى فاعلها لاتابعة لشكلها الظاهري فقط، وذلك مثل بعض الأفعال المتعلقة بالصدق،

1 - السياق في البلاغة العربية القديمة تداوليا، ص 14-15.

2- نفسه، ص 15.

3- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، الدار البيضاء، ط 1، 1998، ص250.

فعندما ينوي المتزوج أن يدفع الصداق إلى المرأة فإنه يأخذ بذلك حكم الزوج، أما عند ورود النية بعدم الوفاء فإنه يتصف بحكم آخر، وكذلك من استدان ديناً لم ينو الوفاء به، فإنه يعتبر سارقاً.¹

"كما جعل كل من أوستين وسيرل المقاصد مركزاً في التفريق بين المعنى التعبيري، معنى الكلمات في الملفوظ، وبين قوة الأفعال العرضية أي النتيجة التي يقصد المرسل نقلها، ولكن يجب إدراك وفهم مقاصد الآخرين وذلك لنجاح التخطيط في التفاعل." 2

"القصد بمفهوم المعنى: هناك من يعتبر أن المقاصد هي المعاني نفسها مثل الشاطبي الذي عقد فصلاً بعنوان المعاني هي المقصودة ومنها: أن يكون الإعتناء بالمعاني الموثقة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود، والقصد بوصفه المعنى، هو المحور الرئيس الذي يتجلى في الإستراتيجية التلميحية، خصوصاً لإنجاز أفعال لغوية متعددة في سياقات متنوعة بخطاب ذي شكل لغوي واحد، مثل خطاب الإستفهام، إذ يمكن أن ينجز المرسل به أفعالاً كثيرة، مثل فعل الطلب أو فعل الإخبار." 3

ولا يتجسد القصد إلا باللغة، حيث جعلت دليلاً عليه، "فيعتبر المتلفظ باللغة عن مقاصده، في أي مستوى من مستوياتها، وبذلك يكون قصد المتكلم (المتلفظ)، حاضراً في خطابه، ولعل هذه الأهمية البالغة لمبدأ القصد في الخطابات اللغوية، هي التي جعلت الدراسات التداولية تعكف على دراسته بعده ركيزة أساسية في العملية التواصلية يتحقق على أساسها الفهم والإفهام." 4 وللقصد عموماً مفهوم تداولي يرتبط أساساً باستعمال اللغة، يقول المسدي، "وهو يقدم لمسألة المواضع في اللغة والقصد في التراث العربي: القصد هو في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة قصد لفائدة معينة طبقاً لسنن المواضع العامة في جهاز تلك اللغة، مع تكريس مظهر من مظاهر العملية في الممارسة." 5 ومن أهم العوامل التي بفضلها يتضح القصد، إنه السياق الذي لا يتأنى القصد إلا بفضل ذلك لأن دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه.

- القصد عند البلاغيين: "جاء في أساس البلاغة في مادة (ق ص د) : قصده وقصدت له، وقصدت إليه، وإليك قصدي، ومقصدي، وأخذت قصد الودي و قصيد الوادي. رماه فأقصده وتقصدّه: قتله مكانه. عضته الحيّة فأقصده، ومن المجاز قصد في الأمر إذ لم يجاوز فيه الحدود ورضي بالتوسط، لأنه في ذلك يقصد الأسد، وهو على القصد وقصد السبيل إذا كان راشداً. فهو بداليتين:

¹ - مبادئ في اللسانيات التداولية، ص 65.

2 - استراتيجيات الخطاب، ص 189.

3 - نفسه، ص 195 - 198.

4 - باديس لهوئيل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، دار عالم الكتب الحديث، الجزائر، ط 1، 2014، ص 37.

5 - في اللسانيات التداولية، ص 168، 169.

الأولى لغوية : وتعني النية، ونية الوجهة.

الثانية مجازية: وتعني تحديد المسار والوجهة.

وأحيانا جعلوا المعنى جميعا في القصد ، قال ابن فارس : فأما المعنى فهو القصد.¹

"والعلامة في ذاتها لدى الدارسين حديثا ، تنطوي على قصد المتكلم ، يقول المسدي "إن العلامة تنطوي على القصد، إذ يقتضي دستورها الدلالي توفر النية في إبلاغ ماتفيده"²

وللقصد مكانة بارزة في الدرس البلاغي والدرس العربي عموما على تعدد مناحيه، "حتى أنه أساس عملية التواصل ويقوم عليه تمييز المتكلم فيها، يقول (عبد القاضي عبد الجبار): إن المتكلم لغيره إنما يحصل مكلما له بان يقصده بالكلام دون غيره، ويكون أمرا له متى قصده بالكلام وأراد منه المأمور..."³

"فلا يعد مكلما مالم يقصد، وهم لا يختلفون عن النحاة ، ويتحدد القصد في موضع آخر في التمييز بين أحوال خطابية مختلفة للمتكلم الواحد، فالتكلم الحاكي يجب أن يقصد الحكاية دون الفائدة ، ولذلك لا يكون كاذبا إذا كان المحكي كذبا ، والمتكلم يقصد الفائدة دون الحكاية ، وبذلك يعد القصد أحد أهم الأسس التي يقوم عليها الاتجاه المقامي في دراسة اللغة عند العرب، ذلك أن المتكلم لا يعد كذلك إلا إذا كان لكلامه قصد...وهو في الأصوليين محدد عنده وثابت لا يتغير وهي الفكرة نفسها التي أشار إليها تشومسكي حين انتقد البنيويين وأكد الاعتداد بالمتكلم في دراسة اللغة ، لأنه وحده الذي يملك الدلالة."⁴

كما شدد ابن القيم على ضرورة الأخذ بقصد الكلام ، في حديثه عن تعليق الطلاق قائلا: وهذا الذي قلناه عن اعتبار النيات والمقاصد في الألفاظ ، وأنها لا تلزم بها أحكامها حتى يكون المتكلم بها قاصدا لها ، مريدا لموجباتها، كما أنه لا بد أن يكون قاصدا للتكلم باللفظ مريدا له ، فلا بد من إرادتين: إرادة التكلم باللفظ اختيارا، وإرادة موجبه ومقتضاه، بل إرادة المعنى أكد من إرادة اللفظ، فإنه المقصود واللفظ وسيلة⁵ولهذا فمن الضروري الإهتمام بالقصد لأن إنتاج الخطاب مرهون بفهم مقاصد المرسل من قبل المرسل إليه، وعدم فهم القصد سينبني على إنتاج خطابات لا تتناسب مع السياق ، وهنا تلتقي البلاغة والتداولية.

"من الصعب الإمام بمصطلح البلاغة ذلك لكثرة مفاهيمها ، فقد مرت بعدة مراحل و أزمان فالكثير من التغير و التطور داخلها ومصطلحاتها عبر هذا التاريخ الطويل ، إضافة إلى تداولها في بيئات مختلفة من كتاب و أدباء

1- في اللسانيات التداولية ، ص166.

2- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1986، ص62.

3- في اللسانيات التداولية، ص 167.

4- نفسه، ص 167.

5- نفسه ، ص 168.

وفلاسفة ، وعلماء الكلام ، و الفقهاء ، وعلماء الأصول كل هؤلاء أسهموا في تحديد معالم هذا المصطلح ، فقد تعددت تعاريفها من معجم إلى آخر ولكنهم كلهم مجمعون على ربط المادة الثلاثية للبلاغة بالوصل إلى ذات الشيء ، أي بالإيصال و الإبلاغ

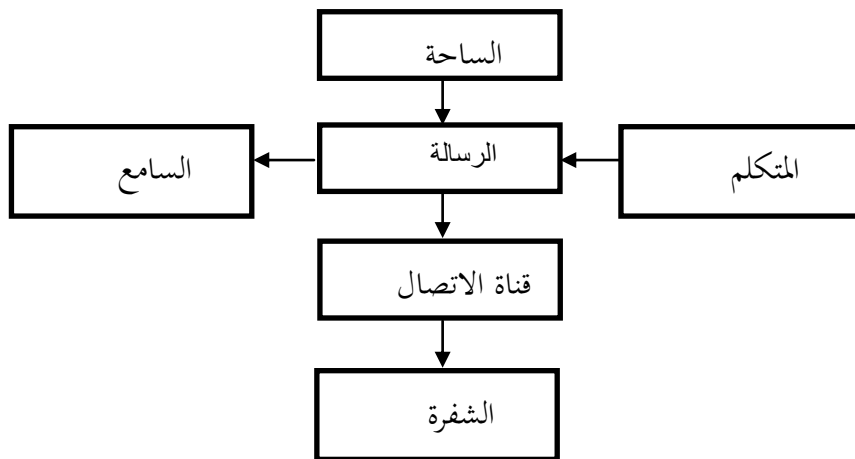
كما يشير أبو هلال العسكري إلى المعنى اللغوي للبلاغة بقوله : "البلاغة من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهت إليها ، وبلغتها غيري ، ومبلغ الشيء منتهاه ، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته ، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه "1

يربط العسكري المعنى اللغوي للبلاغة وهو الإيصال و الإبلاغ وبين وظيفة البلاغة التي هي إيصال المعنى أو نجاح المتكلم في إيصال المعنى إلى قلب السامع .

لو نظرنا إلى وظيفة البلاغة التي أشار إليها العسكري لوجدناه يشير إلى: " طرفي التواصل السامع و المتكلم إلا أنه يركز على المتكلم ويؤكد ضرورة امتلاكه القدرة على التأثير على السامع ، وتظهر هذه القدرة في استخدامه لوسائل تعبيرية وبلاغة محددة تعمل على نقل الرسالة اللغوية الانفعالية في نفس المتكلم وصولاً إلى نفس السامع للتأثير فيه ، أي إن البلاغة عملية تواصلية بين المتكلم والسامع، يسعى هذا المتكلم إلى إيصال رسالة عبر قناة اتصال إلى السامع في مقام معين .

وهذا يؤكد قول تمام حسان الذي قال: بأن المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع على معنى الإبلاغ أو التواصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال2

وقد عزز هذه الفكرة ودعمها من خلال مخطط جاكبسون لأركان التواصل و الموضح في الرسم الآتي3:



السياق = المقام

1 أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط 2 ، 1989 ، ص 115 .

2 عبد المجيد جميل ، البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، د ط ، 2000 ، ص 26 .

3-الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، ص25.

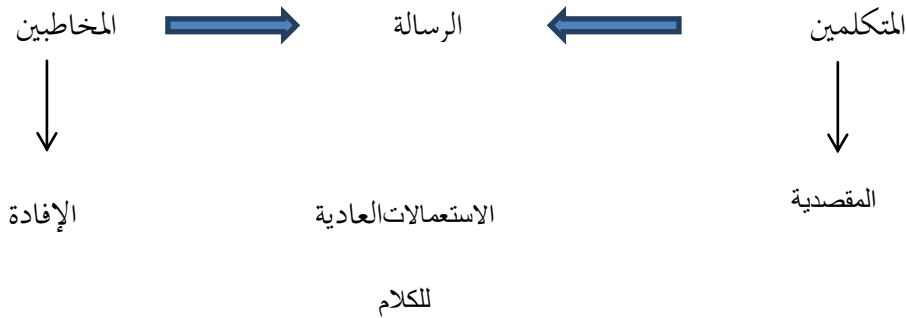
الرسالة = النص أو العبارة

قناة الاتصال = المشافهة

الشفرة = المعنى المقصود

ليخلص إلى أن البلاغة هي " عمل المتكلم على إيصال الشفرة إلى السامع بواسطة رسالة منطوقة خلال قناة اتصال مسموعة في مقام معين " 1.

" وهذا يؤكد أن البلاغة تهتم بالجانب الاتصالي و الاستعمالي للغة ، حيث تسعى لإنجاح العملية التواصلية بين السامع و المتكلم . وهذا ما تلقى فيه البلاغة و التداولية فهذه الأخيرة هي دراسة اللغة أثناء الاستعمال ، فهي تتقاطع مع كثير من الآليات في البلاغة العربية ، وتسهم في تحديد بثلاث معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي : المتكلمين (المخاطب) السياق (الحال المقام ، الاستعمالات العادية للكلام) الاستعمال اليومي و العادي للغة في الواقع و التوضيح أكثر نستعين بهذا المخطط



ومن خلال المصطلحين السابقين تبين العلاقة بين البلاغة و التداولية و الاتصال باعتبار أن البلاغة كما ذكر الدراسون هي " فن القول بشكل عام ، أو هي فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ " 2

أما التداولية فتعني " بالعلاقة بين بنية النص ، ويأتي هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية لكل مقام مقال " 3 فكلاهما يركزان على التشكيل اللغوي الذي يكون في الموقف المعين وهذا ما يجعلهما " تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة الممارسة الفعل على المتلقي ، وعلى أساس أن النص

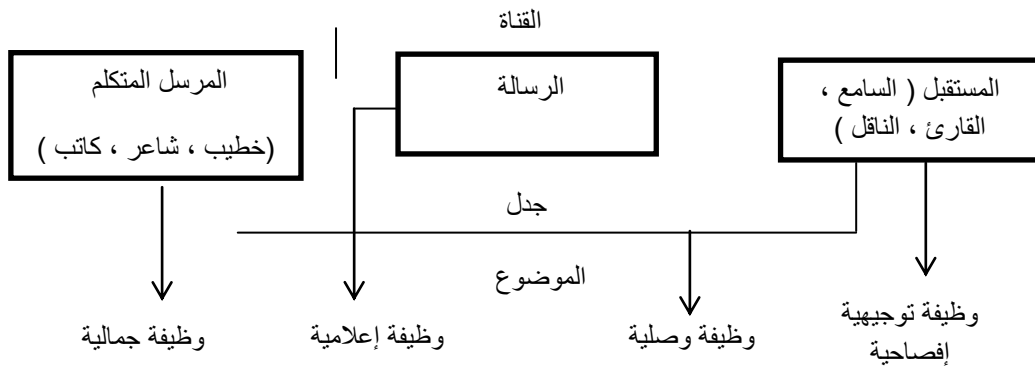
1 البلاغة و الاتصال ، ص 27.

2 سامية بن يامنة ، الاتصال اللساني بين البلاغة و التداولية ، ماي 2008 ، دراسات أدبية ، العدد 01، ص 57 .

3 بلاغة الخطاب وعلم النص ، الكويت، 1992، ص 97 .

اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف " ومنه يتضح أن البلاغة تداولية في صميمها ، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم و السامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما ، مستخدمين وسائل محددة التأثير على بعضهما " 1

"وهما كذلك يلتقيان مع علم الاتصال الذي يهتم بالعناصر التي تسهم في الانجاز اللغوي أيضا ، وتوضيح العلاقة بينهما أكثر من جهة ، وعناصر الاتصال من جهة أخرى ، نلاحظ أن البلاغة هي من متكلم بليغ يسعى إلى إيصال معنى السامع في مقام معين ولقد وضع تمام حسان طبيعة هذه العلاقة أكثر في الإبلاغ الأدبي." 2



"يلاحظ تمام حسان أن المرسل يتخذ من اللغة أداة يبلغ بها جملة من المعاني ماثلة في نفسه إلى المستقبل ، و الوظيفة فهنا إفساحية ، وبها ترتبط أيضا لغة الأدب التي تعتبر الحامل المادي لمقاصد الأدب . أما بالنسبة للقناة التي تسلكها الكلام فتظهر في وظيفة اللغة الأساسية ، وهي التوصل بشكلية الشفاهي و الكتابي ، ووظيفة الموضوع هي التي تحدد الوساطة أما العلاقة بين المرسل و المستقبل فتحدد بالوظيفة الجمالية ، فهي تعكس قدرات المتكلم و أسلوبه الخاص الذي يميزه عن غيره ، وهذا ما ركزت عليه البلاغة ، وبصفة أدت طريقة التبليغ و التي تحدد العملية التواصلية." 3

كما تركز الباحثة كاترين أوركويوني " اهتمامها في سبيل دراسة المعنى على العناصر العملية التواصلية وكل ماينهم في نجاعة الخطاب التواصلية و الذي قسمته إلى : (المرسل ، الملتقي ، و الوصفية التبليغية) وسلامة وصوله وفهم القصد منه . " 4

1 ينظر: نفسه، ص 97.

2-الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، ص 28.

3الاتصال اللساني بين البلاغة و التداولية ، ص 59.

4 نور الهدى حسني ، باديس هو يمل ، مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي العربي ، 2017، مجلة العمدة في

اللسانيات وتحليل الخطاب ، العدد الثاني ، ص 42.

ويتحدد هذا القصد و الغرض منه الكلام على أساس الممارسة الفعلية الناتجة عن انتقال اللغة الموجودة في الأذهان فالتداولية إذن تدرس اللغة بعدها كلاما محمدا صادرا عن متكلم محدد ، وموجها إلى مخاطب محدد ، بلفظ محدد في مقام تواصل محدد ، لتحقيق غرض تواصل محدد ، بمعنى أن اللسانيات التداولية تسعى إلى دراسة المنجز اللغوي في إطار التواصل .

"التداولية تتيح للمتكلم وتضمن له نجاح انجاز العبارات اللغوية ، حيث تعالج أسباب فشل الدراسات البنيوية للملفوظات لمراعاة سياقات ورود العبارات اللغوية ، و الانفتاح على كل ما يحيط بها ومراعاتها ، كما تتجاوز ذلك إلى كيفية انجاز الأفعال من خلال القول فاتهمتم- التداولية - بشروط ملائمة الفعل اللغوي ومناسبة بتراكيب الكلام المنجز وسياقته ومدى مطابقة كل ذلك لبنية الخطاب العامة ، فهي تقوم بدراسة الشروط التي تتضمن النجاح و الفعالية و المناسبة لكل استنخاذا لغوي ، وفقا لما يقتضيه و يتطلبه كل موقف تواصل".¹ ومن أبرز مهام التداولية " شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات "2 فندرس من كل قواعد الاستدلال التي يمكن المتكلم من حكام صياغة عباراته اللغوية لما يستجيب لأغراضه ومقاصده .

تظهر أهميته اللسانيات التداولية وعلاقتها بالبلاغة العربية في " دمجها المستويات اللغوية المختلفة في منظومة واحدة ، دراسة اللغة على أساسها ، أثناء الاتصال اللساني ، فتجعل المتلفظ بالخطاب المرسل ، يرتبط بالمقام ، فيتنبأ بما يستلزمه الموقف لبراعته أثناء انجاز خطابه ، وهذا ما يجعله متحكما في المعنى اللغة نفسها وبذلك يستطيع ضمان حصول عملية الفهم و الإفهام ، حيث يوظف مستويات اللغة لما يستجيب لقصده متكئا في ذلك على السياق ولذا فاللسانيات التداولية تهتم بدراسة المعنى اللغوي أثناء الاستعمال ، وهذا ما يجعلها أكثر دقة وضبطا في معالجتها اللغة وهذا ما يتيح في إعادة تقسيم الخطاب البلاغي العربي".³

ومن أهم مناهج أو طرق دراستها للمعنى ما سوف نتطرق إليه، "فالتداولية تبدأ من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد وما تنشؤه من تأثيرات في السامع فهي تتجاوز الجملة إلى النص و المعطيات السياقية و المقامية ومن خلال هذا الطرح الذي تقدمه اللسانيات التداولية يظهر أنها قد تكون مدخلا لدراسة التراث البلاغي العربي لما توفره من آليات في الكشف عن المعنى ومكوناته".⁴

1التداولية عند علماء العرب ، ص 26.

2ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 43.

3التداولية عند علماء العرب ، ص 27.

4مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 44.

إن أول ما تتصرف إليه البلاغة هو " الإبلاغ " فتعالج كيفية التأثير في الآخر ، وإقناعه وبيان المقاصد التي تهدف الباحث إلى تحقيقها ، وهذا البعد من صميم البحث التداوليحيث يعالج درجات التفاعلالإتصالي بين المخاطب و المخاطب وشدة التأثير وقوته التي تتم بالأفعال الكلامية الموظفة في الخطاب .¹

فالبلاغة تنطلق من " المتكلم وقصده من كلامه ومايجب أن يتوفر فيه من شروط حتى يكون بليغا ، لتتجه نحو المستمع باعتباره المقصود من الخطاب ، فتراعي مقتضي حاله ، إضافة لعنايتها بالرسالة في حد ذاتها فتضع لها شروطا لكي تصير خطابا بليغا ناجحا يختلف عن خطاب العامة.

إن البلاغة العربية و التداولات اللسانية يشتركان ويتفقان كما هو واضح في الاعتماد على اللغة بعدها أداة لممارسة الفعل على الملتقي في سباقات مخصوصة ، فكلاهما يهتم بعملية التلفظ و العوامل المتحكمة فيها قبل وأثناء التلفظ والى غاية انجازه ، فالبلاغة التداولية علمان يتفقان في دراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل .²

1 نفسه ، ص 45.

²- ينظر: نفسه، ص 74.

المبحث الثاني:

تقاطعات على مستوى عناصر الخطاب

1- المتكلم والمخاطب

2- المقام

المبحث الثاني: تقاطعات على مستوى عناصر الخطاب والمنهج والتحليل:

أ- المتكلم : للمتكلم دور بارز في البلاغة العربية القديمة "بوصفه منتج الخطاب وباعثه ولأنه وحده الذي يستطيع تحديد الدلالات ومقاصدها بل أن المعنى في كثير من الحالات مرتبط بما ينويه و ما يقصده و الملاحظ أن هذه نقطة اختلاف بارزة بين الدرس العربي عموماً في كثير من علومه وبين اللسانيات الحديثة لأن هذه العلوم الأخيرة ركزت في بدايتها على البنية الداخلية ، دون الرجوع إلى العناصر الخارجية بما فيها المتكلم واستمرت عقوداً حتى جاءت انتقادات و اعتراضات فلاسفة اللغة ، وهناك بدأ الاهتمام بالمتكلم ."¹ ، أم الدرس العربي عموماً و البلاغي بشكل خاص ، فقد قام في بداياته على الامتداد بمجموع العناصر المسهمة في تشكيل الدلالة بما فيها المتكلم وقد تعددت أشكال الاهتمام به ، بحسب درجة بروزه في عملية الخطاب و انحساره ، وبحسب تعدد الموضوعات التي تستدعي ذلك ، ومن أهمها : ما يحتاج إليه الكاتب بعده منتجا للخطاب و ارتباط الدلالة و القصد بحال المتكلم التي تحاكي الملابس التي يكون فيها وسمها ابن جني " الأحوال الشاهدة بالقصود الخالفة على ما في النفوس."²

ركزت البلاغة على المتكلم " فهو طرف أساسي في عملية الكلام ، وعنصر فعال في تحديد خصائص النص ، إذا يقع على عاتقه كلفة إخراجة على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة و الإبانة و الوضوح "³ فهو المسؤول الأول في العملية الاتصالية ، "فهو يقوم بإرسال رسالة لغوية يهدف من خلالها إلى التأثير في الملتقى أو السامع ، وهناك شروط و مواصفات وصيغتها - البلاغة - لكي تضمن نجاح الاتصال مع الطرف الآخر وبذلك فعلى المتكلم تجنب تفاخر الحروف ، الغرابة ، السمع."⁴

ويدخل هذا:" في فصاحة التركيب و الخلوص من التعقيد الذي يقود إلى الغموض لأن ظاهرة الوضوح و الغموض كان لها حضور متميز في الفكر البلاغي و النقدي لأنها دخلت فيها عدة مواضيع : كالتقديم و التأخير ، سلوك الطريق الأبعد ، و الوقوع في المشترك لذلك قام البلاغيون بتحديد شروط الفصاحة ليستطيع المتكلم أن يبقى في حدود تضمن له وصول المعنى إلى السامع بوضوح وإبانة .حتى وإن كانت الفصاحة و البلاغة محل خلاف بين علماء البلاغة إلا أن كل ما يهمنا هو أن كليهما لهما نفس الغاية وهي تزويد المتكلم بالنصائح و القواعد التي يستطيع بها إفهام المعنى وتوضيحه للملتقى و التأثير فيه ، ويقوم التمييز بينهما البلاغة الفصاحة عند البالغين على

1 ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 163.

2 ينظر: نفسه ، ص 163-164.

3 أحمد درويش ، النص البلاغي في التراث العربي الاوربي ، دار الغريب للنشر و التوزيع، ب ط ، 1998 ، ص 09.

4 ينظر: أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، دار العلم ، لبنان ، ب ط ، ص 17.

كل من المتكلم و الكلام في ذاته جاء في الإيضاح " كل واحد منهما 'البلاغة و الفصاحة) تقع صفة لعتين أحدهما الكلام و الثاني المتكلم ، كما في قولنا (شاعر يضح ، أو بليغ) و (ماتضح ، أو بليغ) "1

فهي تقوم على قدرة ترتبط بالمتكلم في ذاته ويمكن أن ترجع سبب تركيز البلاغة على إقناع السامع أو المتلقي كما وضحنا سابقا إلى طبيعة النصوص التي دارت حولها البلاغة وهي :

"النص الأول هو الخطابة التي كان لها وظيفة نفعية وغاية علمية من تغيير في المعتقد ، وانتصار لمذهب ، وحقن للدماء ، وقطع للرقاب ، و التعليم و الإفهام ، و التهذيب و الإصلاح و الحث و الإنهاض ، بالجملية التأثير و الإقناع "

النص الشعري : هو تقسيم الخطابة في الأدب العربي ، فقد شاركت القصيدة و الخطبة في كثير من موضوعاتها ، قد نظمت للمفاخرة و المدح و الهجاء."2

النص الثالث : وهو القرآن الكريم الذي استقطب اهتمام البلاغيين ، وقد كان ذا طبيعة خطابية وخطابية جدلية على نحو خاص

ومن خلال ما سبق ، نستطيع أن نقول أن البلاغة اهتمت بالدرجة الأولى بطريقة إنتاج النص ، وتقديم النصائح و الشروط للمتكلم لإنتاجه ، كي تنال الرسالة كلمة استحباب أو رضا من قبل السامع أو الملتقى فهي تعني بالصياغة اللغوية لهذه الرسالة كما تؤدي وظيفتها و فاهمها عند الملتقى ، إذن البلاغة تعنى بدراسة المعنى من حيث الإنتاج ، والانسجام ، و التمكين ، وقد بحث في عناصر المعنى هذه بحثا مرتبطا فعملت على توجيه الإنتاج توجيهها يضمن انسجام الخطاب ، أو حصول التمكين و الاستجابة "3

ونلخص من ذلك كله أن البلاغة هي : "الطريقة أو الوسيلة المتبعة في الكلام حتى تنفذ معاينة إلى عقل وقلب السامع وما يقتضيه ذلك من وضوح ومحسنات وإبانة وإظهار وإقناع"4 .

وبذلك سعت البلاغة إلى تقديم النصائح و الشروط للمتكلم ليصل إلى هدفه إلى قصده وهو التأثير في الطرف الآخر (الملتقى أو السامع) قبل أن تنتقل إلى هناك سريع عبارة أخرى عن الطرف الأول المتكلم.

ب- السامع : يحظى السامع في العملية الإبلاغية في الدرس البلاغي العربي بأهمية لا تقل عن أهمية المتكلم ، ولئن كان المتكلم هو منشئ الخطاب ومنتجه ويسميه بكثير مما يميزه متكلمنا عن الآخرين فإن السامع هو من ينشئ له

1 القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة لبنان - بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط5 ، 1980 ، ص 72.

2 البلاغة و الاتصال ، ص 127.

3 ناعم عودة خضر ، الأصول المعرفية لنظرية التلقي ، دار الشروق ، الأردن ، ط1 ، 1997 ، ص 65.

4 فياللسانيات التداولية 174.

الخطاب ومن أجله وهو يشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعالة ، " فالمتكلم حين يراعي مقام الخطاب ، وأحوال السامع ، وأشكال الإلقاء الحيز إليه و أنماط الطلب التي ينشئها فهو إنما يستحضر السامع في كل عملية إبلاغية ولو بصورة هيئة كما أن الخطاب في اغلب حالاته يكون حسب ما يريد السامع لا المتكلم "1.

"يعتبر المخاطب (السامع) الشريك في التصور العام من الناحية الإبداعية للرسالة فالمخاطب يحتل مركز الصدارة حينما يفكر المتكلم بصياغة كلامه ، لأنه لا بد أن يراعي أقدار وطبقات المستمعين من الناحية السياسية و الاجتماعية" فلا يكلم سيدالامة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلامالسوقة ، لان ذلك جهل بالمقامات ، وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام "2

و الغاية منها تجنب عدم غضب المخاطب ومن الناحية الاجتماعية مراعاة من حيث الألفاظ بحيث لا يستخدم المتكلم ألفاظا غريبة أو غير مفهومة و الغاية منها الفهم و الإفهام .

كما تنبه ابن وهب أيضا للضرورة مراعاة الحالة النفسية للمخاطب حيث قال " وإذا رأى أي الخطيب أو المتكلم (من القوم إقبالا عليه واتصال لقوله فأحبو أن يزيدهم ، زادهم على مقدار احتمالهم ونشاطهم وإذا تبين منهم أعراضا عنه وتثاقلا عن استماع قوله خفف عنهم فقد قيل من لم ينشط لكلامك فارع عنه مؤونة الاستماع منك "3

ومن أهم ما يميز الاهتمام بالسامع في البلاغة العربية ، " حديث (المبرد) إلى المتفلسف (الكند) فيما رواه ابن الأنباري من سؤال الكندي أولى المبرد بأنه يجد في كلام العرب حشدا يظهر من قولهم : (عبد الله قائم) ثم (ان عبد الله قائم) و المعنى واحد فأجابه المبرد بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم عبد الله إخبار عن قيامه ، وقولهم إن عبد الله قائم جواب سؤال سائل ، وقولهم إن عبد الله قائم جواب عند إنكار منكر لقيامه . "4

"ومن الأوجه البالغة في الاعتداد بالسامع وضرورة حضوره حين إنتاج الخطاب بل حتى ضرورة حضور المادي بإلحاح من المتكلم ، ماورده ابن جني قائلا " أولا تعلم إن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه ، وينعم في تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه فيقول له : يا فلان أين أنت ؟ أرني وجهك ؟ فالمتكلم وهو ينتج حديثه يلم على ضرورة حضور السامع وعلى ضرورة الانتباه إليه ، و النظر أيضا ...وفي هذه الإشارات قيمة تداولية كبيرة تتمثل في أنه لا يمكنه إنتاج الخطاب الذي يريد دون استحضار سامعه."5

1 ينظر: نفسه ص 175-176.

2 ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، مكتبة الشباب، مصر ، ب ط ، ، ص 37.

3 البرهان في وجوه البيان، ص 105.

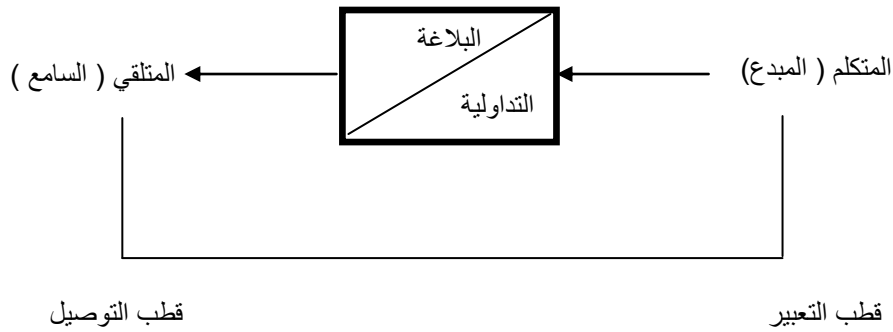
4 في اللسانيات التداولية ، ص 177.

5 نفسه ، ص 180.

كما أن عبد القاهر الجرجاني في تحليله للعلاقات النحوية يميل إلى ربطها بالسامع كما يجعل مهمة الناظم أو المتكلم وهي توصيل المعنى إلى السامع باعتبار تواجده بين عملية النظم تواجداً بينا فيقول: " ليت شعري هل يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة دون أن يترك تعليقها بمعنى كلمة أخرى ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم السامع معاني الكلم المفرد إلى تكلمه بها ، فلا تقول : خرج زيد ، لتعلمه معنى (خرج) في اللغة ، ومعنى (زيد) كيف ومحال أن تكلمه بالألفاظ التي لا يعرف هو معانها كما تعرف "1

ونخلص إل أن البلاغة اهتمت بكل من المتكلم فوضعت له الشروط و الطرق و الوسائل التي أن استعملها واتبعتها تضمن له الاتصال الناجح مع السامع (أو الملتقي) فيصل المعنى إلى قلبه وعقله ويؤثر فيه ويحقق هدفه فهي تسعى في وضع قوانينها إلى مراعاة حال الملتقي وطبيعته وثقافته .

وبالتالي يمكننا القول إن " البلاغة في عمق تكوينها و أهدافها التداولية لأن كليهما يعتمدان طرفي معادلة الاتصال."2



وبذلك يمكننا أن نقول إن البلاغة تسعى إلى توظيف الشروط لتضمن تحقيق أهدافها في إقناع المتكلم الطرف الآخر وتغيير أفكاره ، و التأثير فيه أي إن للبلاغة أبعاد تداولية .

1 دلائل الإعجاز ، ص 242.

2-الإتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، ص35.

ج-المقام: لاحظ البلاغيون منذ القديم ظاهرة المقام من خلال مقولتهم الشهيرة (لكل مقام مقال) و انطلقوا في مباحثهم حول فكرة المقام وربطه بالصياغة أو التشكيلات الكلامية (المقال) فقد اشترطوا مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

فالحال (المقام) هو الأمر الذي يدعو إلى إيراد خصوصية من التركيب المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي نورد عليها العبارة أما مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة .

ويرى التهانوي أن الحال هو " الحال في إصلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص ، أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي أهل المعني خصوصيته ما هي المسماة بمقتضى الحال "1.

وتمت دراسة هذه الظاهرة أي المقام ومقتضى الحال ضمن مباحث علم المعاني بأنه " علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطلق مقتضى الحال " 2

فالحال في نص التعريف هي المقام أو الموقف الذي يجب أن يضع المتكلم كلامه على صورته ، أما مقتضى الحال فهو الأسلوب الذي ينسج على منواله المتكلم كلامه ، ويصوغ ألفاظه ، ويضع لها التراكيب لتناسب الحال.

و القزويني في تعريفه للبلاغة يقول " البلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته ، وهو يختلف ، فإن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام كل من التنكير و الإطلاق و التقديم و الذكر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه ، وكذا الخطاب الذكي مع خطاب العيني ، ولكل كلمة مع صاحبها مقام وارتفاع شأن الكلام في الحسن و القبول بمطابقتها الاعتبار المناسب انحطاطه بعدمها ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب "3.

وبذلك لاحظ البلاغيون أن المخاطب لا يقيم على حالة واحدة ، وإنما شمله حالات نفسية لا حصر لها ، و البليغ لا يكون بليغا إلا إذا وقف إزاء كل حالة بما يطابقها من القول ، ولا بد أن يشتمل كلامه على الخصائص البلاغية التي تنتهي به إلى هذه المطابقة ، وقد فصلت هذه الخصائص ضمن مباحث علم المعاني من بينها التقديم و التأخير و الإيجاز و الاطناب و القصر و الفصل .

" فإذا كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام قليله بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة وإذا كان مقتضى الحال في ذكر المسند إليه فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب ، وكذا إذا كان المقتضى ترك المسند إليه فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره وان كان مقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصصات فحسن

1 التهانوي ، كشف اصطلاحات الفنون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 2 ، 1977 ، ص 125.

2 القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، ص 10.

3 التلخيص في علوم البلاغة ، ص 10.

الكلام على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها ، وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها ومع الإيجاز معها أو الاطناب فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك " 1

وبذلك ربطت البلاغة بين النص أو التشكيلات الكلامية وبين المقام وحال المتلقي ، ومن هذا المنطق حاول صلاح المقاربة بين البلاغة و التداولية

من وجهة نظره وهي " العلم الذي يعني بالعلاقة بين نسبة النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم مما يطلق عليه سياق النص " 2 .

وعليه فان اهتمام البلاغة بمطابقة المقال لمقتضى الحال يثبت البعد التداولي للبلاغة العربية ، فقد ربط بين التشكيلات الكلامية و المقام حال السامع و المتكلم وسنورد بعض النماذج للبنى التركيبية التي أوردها الجرحاني في دلائله باعتبار أنها كان من الذين اهتموا بالجانب التداولي : التقديم و التأخير ، الحذف

الحذف : يقول فيه : هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، ازيد للإفادة ، ونجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما

تكون بيانا إذا لم تبين " 3

"الحذف كما يشير الجرحاني يأتي إلى دواعي معينة ، فالحذف في الموضوع و الحال الذي ينبغي فيه كي يؤدي المعاني التي تقتضيها الشروط التداولية ، وهناك بعض النماذج القولية التي يتم فيها حذف إحدى مكونات الحملة منها:

حذف المفعول : مثل ضرب زيد الغرض من حذفه هو : إثبات الضرب للفاعل ، وليس وجوب الضرب في الفعل على الإطلاق ويكون هذا الحذف فالتأدية لبعض المعاني التداولية كإثبات معنى الفعل لا غير " 4 قوله تعالى : " وأنه هو أمات و أحي " 5 ، "فالمعنى منه هو الذي منه هو الإحياء و الإمانة وكان القصد منه أن ميت المعنى في نفسه فعل للشيء .

حذف المفعول قصد الدلالة عليه : وينقسم إلى :

1 السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 256-275.

2 بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 25.

3 ينظر: دلائل الإعجاز ، ص 112.

4- ينظر: نفسه، ص 113.

5- سورة النجم ، الآية 44.

جلي : مثل قولهم : أصغيت إليه .. " وهم يريدون أذني هنا حذف " أذني " لأنه مفهوم من المقام

خفي : الذي تدخله الصيغة فيقنودلك نذكر الفعل وحذف المفعول الذي يكون مكانه معلوماً بدليل الحال عليه

مثال قول البحري :

شجر حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

حيث حذف المفعول للدليل على الحال عليه و التقدير : مبصر محاسنه ، وواع إخباره.¹

الإضمار على شريطة التفسير ، وهو سياق يحذف فيه المفعول وذلك لمجيء فعل المشيئة بعد لو " ومن ذلك قول البحري :

ولو شت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تخدم مآثر خالد

أصله : " لو شئت أن تفسد سماحة حاتم لمفسدها ، صرت إلى كلام عث و إلى شيء لمحبه السمع وتعاقبه النفس ، فهو يضع في نفسه انه هن شيئاً تقتضي مشيئة أن يكون أو أن لا يكون "2.

وبذلك تظهر الجوانب الدلالية في تحليل عبد القاهر الجرجاني مثلاً إذا ذكر المحذوف في هذه الحالة وفي هذا الشاهد تنتج عنه كلام غث يستنكره السامع وتعاقبه النفس كما انه يحرك السامع للوصول إلى المعنى المقصود .

"التقديم والتأخير : وهو على وجهين :

تقديم على نية التأخير : هو ما لا يخرج المتقدم إلى ما كان عليه قبل التقديم ، كخبر المبتدأ إذا قدم عليه ، و المفعول إذا قدم على الفاعل وهذا يشمل الحكم و الجنس . مثل منطلق مجيد

تقديم لا على نية التأخير : يقوم على نقل الشيء من الحكم إلى حكم ، بحث يجعل في باب غير بأنه وفي إعراب غير إعرابه ، كان تعتمد على اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأً: ويكون الآخر خبراً له ، فيتقدم هذا أثاره على ذلك ، وأخرى ذلك على هذا مثل : زيد المنطلق ، و المنطلق زيد.

فالمقدم هو المسند إليه (المبتدأ) و المتأخر هو المسند (الخبر)³

¹- ينظر: دلائل الإعجاز، ص114.

²دلائل الاعجاز ، ص 125-126.

³ينظر : نفسه ، ص 83.

أي الغرض الأساسي من التقديم هو العناية بقول: "واعلم أنا لم يجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير لعناية و الاهتمام..... لأن التقديم لا يأتي لإبراز الفائدة أو عدم الفائدة فقط، وإنما يتميز المعاني المختلفة التي تدور في ذهن المتكلم، والتي تريد إيصالها إلى المستمع".¹ وهذا ما يفقد قيمته التداولية ومن ذلك:

كلاستفهام بالهمزة في التقديم و التأخير في الفعلين الماضي و المضارع:

مثل (أفعلت) و (أنت فعلت) يختلفان من حيث المعنى ومن حيث الوظيفة التداولية ففي الأولى كان الاستفهام على الفعل، وهو يؤدي معنى الشك في الفعل نفسه وليس في الفاعل، أما في (أنت فعلت) فالشك في الفاعل من هو؟ دون أن يعرف هل تحقق الفعل أم لا، بمعنى أنه ليس قولاً إنجازياً²

وهذا ما يجعل الاستفهام يؤدي وظائف تداولية كتقريره وتأكيد الفاعل قد كان أو الإنكار له لم كان ومن الآثار التداولية المتحلل عليها:

- ادعاء السامع على فعل لا يقدر عليه

- رغبة السامع في فعل شيء لا يستصوب فعله

- تجويز السامع أمراً لا يوجد مثله

- كل هذا جاء لإنكار فعل الفاعل وردة عليه.

1 دلائل الإعجاز، ص 84.

2 نفسه، ص 84.

الفصل الثاني :

موازنة بين التحليل البلاغي و التحليل التداولي

المبحث الأول:

المقاربة التداولية في علوم البلاغة

1-تداولية علم المعاني

2-تداولية علم البيان

3- تداولية علم البديع

توطئة:

إن فهم الخطاب وتحليله ليس أمراً هيناً، ولا تكفي البحوث اللغوية للسيطرة عليه، بل هو عملية معقدة تستوجب على المحلل الاستعانة بمبادئ تتصل بالمعرفة الخلفية، حتى تتمكن من "وصف كيفية تنظيم المعلومات عن العالم في ذاكرة الإنسان، وكذلك كيفية تنشيطها في عملية فهم الخطاب"¹، وهذا يستوجب وضع النص في مقامه بغية الإحاطة بملاسات التواصل، التي تتدخل بجانب كبير في صياغة النص، وتشكل هذه المعرفة الخلفية، وتنمو من خلال ملاحظتنا وتصوراتنا عن الأشياء في العالم الخارجي، وتعالق الوقائع وسيرورة الأحداث في حياتنا اليومية، وهذا إشتراك بين الناس يجعل المتكلم يتخلى عن كثير من الشروحات والتفصيلات، إيماناً منه بأنها موجودة ومتوفرة عند المتلقي .

إن من يتتبع كتب الإعجاز والبلاغة عموماً، يلحظ كيف تجمعت في وظيفة البلاغة عدة عناصر تتفق في شروط نجاح القول، من حيث تأديته للغرض غير مقصورة على النص القرآني، ويظهر ذلك أكثر دقة في الموازنة بين الشواهد القرآنية، والشعرية، والنثرية، فكان من التعليقات ما يؤكد على دقة الاستعمال القرآني في هذا الموضوع، وجمالية الاستعارة الشعرية في ذلك السياق، وبلاغة البديع في تلك الخطبة، وأهمية الوضوح في مخاطبة العامة .

وتعود قيمة أعمال البلاغيين إلى أنها وهي تدافع عن شعرية النص بتداوليته، فهم لا يدرسون النص من جهة عناصره وبنياته الداخلية فقط، بل يدرسونه من جهة فعالية هذه العناصر ووظيفتها، ولا يكتفون بدراسة النص من جهة قدرته على أن يكون خارجاً أو سياقاً يقع خارجه، بل يدرسونه من جهة قدرته على توفير الشروط التي تحوله من فعل لغوي مناسب للتأثير في سياق خاص. وإذا كان التماثل بين البلاغة والتداولية يكمن في الوراثة شبه الكلية للبلاغة الإقناعية الخطابية، ولكن في طرائق التحليل ومدوناته يظهر بعض التباين، إذ يلحظ على أدوات التداولية تشعبها بالمنطق أفضى بها إلى اختيار النصوص العادية وأحياناً المصطنعة نماذج لاختيار مقولاتها، فاشتركت في هذه النقطة مع النحو العربي، على حين كانت النماذج التطبيقية في البلاغة العربية فنية عموماً. فضلاً عن ذلك لم تفصل البلاغة بين الإقناع وجمال الأسلوب، فالكلام البليغ صناعة وهو: " كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"²

تنحو البلاغة في حد ذاتها منحا تواصلية ذو أفق تداولي بالدرجة الأولى، وما يتعلق بانقساماتها الثلاثة والمتمثلة في علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع. ذلك أن " علم المعاني متعلق بدراسة طرائق الكلام او الأسلوب وذلك ليطباق مقتضى الحال، أما البيان والبديع فهما قسمان بلاغيان مرتبطان بعملية التواصل وجوهره، وذلك بفضل عنايتهما بالجانب التميمي والجمالي للألفاظ والجمل، والتأثير في النفوس، وقلب القناعات، ونفي الترددات والشكوك، وبالتالي خلق فعالية تواصلية ذات إستراتيجية ناجحة، وهو ما يصب في عمق الدرس التداولي، الذي يعتد بطروحات وآليات هدفها الأساسي تغذية

1- تحليل الخطاب، ص 285.

2 - حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1، 2014، ص 146

الكلام بأسس منهجية تخدم المتكلم من خلال مدها به مجموعة من التوصيات والمفاهيم التي تجعل قصده واضحا، لا لبس فيه، مما يجعل العملية التخاطبية ناجحة وفعالة وفي مستوى قبول المتلقين وفهمهم، وهذا ما سنحاول إثباته عبر البحث في علوم البلاغة المتمثلة في: المعاني، البيان، البديع قصد الوقوف على مدى اكتشاف التعالقات الموجودة بين الخطاب البلاغي العربي وبين نظريات الفلاسفة واللغويين التداوليين.¹

المبحث الأول: المقاربة التداولية في علوم البلاغة

1-تداولية علم المعاني:

"هو العلم الذي يبحث في أساليب الكلام اللفظية التي بها يطابق مقتضى الحال، ونعني بكلمة المعاني في عبارة (علم المعاني) بيان الأغراض التي من أجلها يقال الكلام أو يصاغ الأسلوب اللفظي، ونخلص أن علم المعاني هو العلم الذي يتوفر على بيان الأساليب أو التراكيب اللفظية التي تحقق للمتكلم الإعراب عن غرضه وغايته ومقصده من الكلام وفق ما يقتضيه الموقف، وما يميز هذا العلم أنه يقف على الأسرار التي يرتفع بها شأن الكلام ويفضل بعضه بعضا، ومعرفة إعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن الوصف، ولطف الإيجاز، وجودة السبك، وبراعة التركيب، وجزالة الكلمات، وعذوبة الألفاظ، ومحاسن الكلام، والوقوف على بديع القول وأسرار البلاغة، وأساليب الفصاحة وغير ذلك."²

وعرفه السكاكي بقوله: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام، على ما يقتضي الحال ذكره."²

"وإذا كان علم المعاني ذلك المجال الذي يلقي مقارباته حول الظروف والأحوال والمقامات التي تعتبر بمثابة الضابط أو المؤطر الجوهرية لعملية إنتاج الكلام."³ فهو بهذا المنحى إنما يخطو خطوات حقيقية نحو التداولية التي تعنى بمثل هذه المقاربات، وبهذا فإن الآليات والمباحث المندمجة تحت لوائه تتقاطع تقاطعا معرفيا في بعض تظاهراتها المعتمدة في النظريات التداولية المعاصرة وسنحاول معرفة بعض المباحث التي يشتمل عليها علم المعاني لنرى إلى أي حد ترتقي وإلى أي وجهة تنحو إذا ما قابلناها مع تحريجات ونظريات الجاز المفاهيمي التداولي المعاصر، وذلك بالنظر إلى أهم البلاغيين العرب، ومن بين هذه المباحث: ظاهرة الحذف التي تقابل الافتراض المسبق والذي يعتبر من المباحث التي استأثرت اهتمام نفر غير قليل من البلاغيين العرب، فبعد القادر الجرجاني يخصص له بابا خاصا به⁴ يقول فيه "هو باب دقيق المسلك لطيف

¹-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، 246.

²-مفتاح العلوم، ص 161.

³-واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، دكتوراه، جامعة وهران، 2012، ص 247.

⁴ - نفسه، ص 246.247.

المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح الذكر و الصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين .¹

ولعل الدافع الأكبر الذي حدا بالبلاغيين العرب نحو مقارنة ظاهرة الحذف ،² راجع إلى ماتحملة هذه الظاهرة من جمال فني و إبداعي من جهة ، و ما تحمله من دلالات و أغراض من جهة أخرى ، بالإضافة إلى محاولة الربط بين البنية التركيبية للألفاظ و بين الهدف التواصلية الذي يسعى المتكلم لبلوغه ، و هذا بتوفير الاتساق و الربط بين عنصر وآخر و آخروا في جملة سابقة أو لاحقة ، أو بين عنصر و متتالية برمتها سابقة أو لاحقة ، و لا شك فيه أن مساحة الحذف تتموضع في ذلك المجال المعنى بتقليل² اللفظ و تكثير المعنى و هذا يعني أننا نصنع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها شريطة أن تفي بالغرض المقصود مع الإبانة و الإفصاح .³

و هذا يعني أن الحذف من الفعاليات الاقتصادية الخاصة بالكلام ، و تحافظ هذه الفعالية على شرط إلزامي مهم و هو عدم التعمية و الاتجاه نحو غرض المعنى ، لأن الأهمية العظمى المتأنية منه (الحذف) هي إثارة الأشباه و فكر المتلقي ، الذي يجد نفسه ملزما بمعرفة المحذوف و موضعه لفهم المراد (تصديق المتكلم) . أو استنطاق الأبعاد الجمالية و الفنية الواردة في العبارات و الصيغ الكلامية التي تشمل على الحذف ، و هذا ما جعله يأخذ نصيبا لا بأس به من الانشغالات البلاغية الواقعة في دائرة مفهوم (التغيير التركيبي المعياري) المرتبط بتحطيم المؤلف ، و للتعرف على القيم التداولية الموجودة تحت مجال ظاهرة الحذف ، هو ما سنقوم بشرحه في الصفحات القادمة .

2-تداولية علم البيان :

هو علم يهتم بمعرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه و النقصان ليحتز بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد⁴ ، و لعل أقدم تعريف للبيان قول تمامة " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك القناع عن المعنى و هتك الحجاب دون ضمير يقضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان و من أي جنس ...⁵

و ينقسم البيان إلى : التشبيه ، المجاز ، الكناية و الاستعارة و هذا ما سوف نحاول توضيحه تداوليا و بلاغيا ، فقد عرف الجاحظ الاستعارة بقوله : " الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه "⁶ ، و عرفها القاضي الجرجاني : " فأما

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح محمد مجد شاكرا ، مطبعة المدني للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ص 106 .

2- دلائل الإعجاز ، ص 247 .

3- ينظر: مجد ملياني ، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة (دكتوراه) ، ص 26 .

4- مفتاح العلوم ، ص 162 .

5- علوم البلاغة ، ص 194 .

6- علم البيان ، 186 .

الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام ، وعليه المعول في التوسع و التصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم و النثر¹ ، و عرفها أبو الحسن الرماني بقوله : " (الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة) ، ومثل لها بقول الحجاج : (إني أرى رؤوساً أعنت و حان قطافها) ، كما عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله : " الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية " ، هذه المجموعة من التعريفات و هي و إن اختلفت عباراتها فإنها تكون متفقة مضموناً ، ومن كل هذه التعريفات السابقة تتجلى الحقائق التالية : أنها ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي ، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه .²

تطلق الاستعارة على استعمال " اسم المشبه به في المشبه ، فيسمى الشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعاراً له . وقرينة الاستعارة التي تتمتع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية .³

تكمن بلاغة الإستعارة في أنها صورة من صور التوسع و المجاز في الكلام ، و " هي من أوصاف الفصاحة و البلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى كما يقول عبد القاهر الجرجاني " إن وظيفة الإستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً ، و توجب له بعد الفضل فضلاً و إنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع و لها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، و شرف مفرد و من أهم خصائصها التي تذكر بها : أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر و تجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر .⁴

كذلك من خصائصها: " التشخيص و التجسيد في المعنويات ، و بث الحركة الحية و النطق في الجماد ، يقول الله تعالى في تصوير العذاب الذي أعدّه للكافرين به : " و للذين كفروا برهم عذاب جهنم و بنس المصير ، و إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً و هي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج خزنتها ألم يأتكم نذير " 5

" فالشهيقي في الآية الكريمة قد استعير (للسوت القطيع) و هما لفظتان و (الشهيقي) لفظة واحدة ، فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان و " تميز " استعير للفعل " تنشق من غير تباين " و الاستعارة أبلغ لأن التميز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه مبايناً لغيره و صائراً على حدته و هو أبلغ من الاشتقاق ، لأن الاشتقاق قد يحدث في الشيء من غير تباين

¹ -الوساطة (المتنبي وخصومه)، 98.

2-عبدالعزير عتيق ، علوم في البلاغة العربية علم البيان ، دار النهضة العربية ، دط ، بيروت ، 1985، ص 175.

3-نفسه ، ص 175.

4-علم البيان ، ص 196.

5-سورة الملائكة، الآية : 08.

واستعارة " الغيض " لشدة الغليان أوجز و أبلغ في الدلالة على المعنى المراد ، لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس ، و لأن الانتقام الصادر المغيظ يقع على قدر غيظه . فالاستعارات هي التي لونت المعاني الحقيقية في الآية كل هذا التلوين و هي التي تثبت فيها كل من القدر من التأثير الذي ارتفع ببلاغتها إلى حد الإعجاز .¹

و مما ورد من الاستعارة في الاحاديث النبوية قوله ﷺ " لا تستضيئوا بنار المشركين " ، فاستعار " النار " للرأي و المشورة ، أي لا تتمدوا برأي المشركين و لا تأخذوا بمشورتهم .

وكذلك من خصائص الاستعارة أيضا بث الحياة و النطق في الجماد كما ذكرنا كقوله تعالى : " ثم استوى إلى السماء و هي دخان فقال لها و للأرض أتيا طوعا أو كرها قالتا أتيا طائعين "2، فكل من السماء و الأرض جماد تحول بالتوسع الذي هيأته الاستعارة إلى إنسان حي ناطق .

"وعدت الاستعارة وسيلة لغوية ناجحة ، يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية ، ما دامت إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري ، فنحن نجد في اللغة اليومية و في الكتابات الادبية و السياسية و الصحفية و العلمية ، و قد ربطها الجرجاني بالمعنى و ليس باللفظ ، لان فهم الاستعارة يقتضي معرفة معنى المعنى ، فالاستعارة ادعاء معنى الكلمة لا نقلها من سياق إلى سياق آخر حيث ينسى الإنسان وجود تشبيه بين المستعار و المستعار له ."³

و قد قسمها البلاغيون إلى تصريحية و مكنية بناء على طرفيها فالتصريحية هي الاستعارة التي يكون فيها المشبه به نفسه و ليس صفة من صفاته كقوله تعالى " ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور " 4 أي من الضلالة إلى الهدى .

و المكنية وهي التي يختفي فيها المشبه به ويكتفي فيها بذكر شيء من لوازمه دليلا عليه كقوله تعالى " و اشتعل الرأس شيئا " 5

تهتم التداولية بدراسة الاستعارة من حيث هي نشاط لغوي يحقق التواصل بين بني البشر و خاضع لظروف إنتاج الخطاب بصفة عامة ، متجاوزة بذلك حدود النظرية الدلالية التي تتعدى في تفسيرها للآلية الاستعارية شقها الدلالي ، أي اعتبارها آلية لغوية دون الاخذ في الاعتبار النسق العام الذي يحكم الآلية الاستعارية و الخاضع بدوره لشروط تداولية .

1-علم البيان، ص 198.

2-فصلت، 11.

3-البعد التداولي للاستعارة، ص 162.

4-سورة ابراهيم ، الآية : 04.

5-سورة مريم ، الآية : 04.

1- مقصدية الاستعارة : "عرض جون سيرل في كتابه (المعنى و التعبير) قضية الاستعارة و علاقتها بمقصدية المتكلم ، فمشكلة الاستعارة تعد عند سيرل جزءا من مشكلة لغوية عامة هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم و الجملة ، أو بعبارة أخرى : كيف تقول شيئا و تعني شيئا آخر ؟ لا يؤمن سيرل بإزدواجية المعنى في العبارة و الجملة بحسبه لا تتضمن سوى معنى واحد و هو المعنى الحرفي ، أما المعنى الاستعاري فهو مرتبط بالتلفظ أي بقصد المتكلم فالاستعارة في تصوير سيرل لا ترتبط بمعنى الجملة بل ترتبط بمعنى المتكلم ، أي أنها خاصة بالمتكلم دون غيره ثم إن الطبيعة الاستعارية للمفوض ما تعود إلى قصديه المؤلف و اختياره وليس إلى أسباب داخلية للبنية الموسوعية يفرق سيرل بين المعنى الحرفي و المعنى الاستعاري بمصطلحين هما : "1معنى المتكلم و معنى الجملة و ربطها بقاعدة مفادها أنه إذا تحقق التطابق بين معنى الجملة و المعنى الذي يقصده المتكلم نكون أمام المنطوق الحرفي و إذا لم يتطابقا فإننا نكون إزاء المنطوق الاستعاري . الذي يقسمه سيرل إلى ثلاثة أنواع : "2

"المنطوق الاستعاري البسيط وفيه تقوم الاستعارة على الاستبدال المحدد لكلمة بكلمة أخرى أي كلمة ملفوظة بكلمة مضمرة .

المنطوق الاستعاري غير المحدد و يتسم باتساع مجال المعاني التي يحتملها المنطوق الاستعاري إذ لا يتحدد المضمرة هنا في كلمة واحدة بل يتشعب بين عدة دلالات .

الاستعارة المبنية و فيها يهمل المعنى الاصلي الملفوظ ليكون المعنى المجازي الاستعاري هو الملفوظ ثم إن ارتباط الاستعارة بالمتكلم تنفي وجود المتلقي دوره في عملية التأويل فالمعنى الذي يقصده الناطق بالاستعارة لا يفهمه بالضرورة المتلقي و قد يؤوله بعيدا عن قصديه الناطق بالاستعارة لأنه لا يتفق مقصدية الناطق بالاستعارة و متلقيها إلا إذا كانا ينتمين إلى نفس البيئة الثقافية للمتلقي مما يجعل الاستعارة لا تتعدى حدود الانتماء الثقافي." 3

للمتكلم و هذا ما يجب تجاوزه لان المتلقي يعطي تأويلات يقصدها المتكلم بل قصدها اللغة نفسها مقصديتها أقوى من مقصدية المتكلم .

2- مقبولية الاستعارة : يرى أمبرتو إيكو أن " مقبولية الاستعارة لا تقاس بمدى صدقها أو كذبها لهذا السبب لن نأخذ بعين الاعتبار النقاشات حول صدق الاستعارة فمستعمل الاستعارة يحفي المعنى الحقيقي للكلمة و يظهر معنى آخر و المعنى المجازي لها حيث يرى إيكو أنه من البديهي أن من يستعمل الاستعارة فهو يكذب حرفيا فهي لا تقف عند حدود

1-نادية ويدير ، البعد التداولي للاستعارة ، مجلة الممارسات اللغوية ، العدد 15 ، تيزي وزو ، 2012 ، ص 165.

2-ينظر : عيد بلبع ، الرؤية التداولية للاستعارة ، مجلة علامات ، العدد 23، 2005 ، ص

3-ينظر : البعد التداولي للاستعارة ، ص 166 ، 167.

مستعمل الاستعارة ، بل يرتبط بمسألة أشمل تخص الوضع الصدقي و الكيفي لأنه يريد أن يوصل لنا حقيقة ، لكن هذه الحقيقة تتعدى المعنى الحرفي للكلمة إلى معناها المجازي .¹

و" قد أخضع إيكو مقبولية الاستعارة لقواعد المحادثة التي وضعها غرايس و المتفرعة عند مبدأالتعاون و هو أول مبدأتداولي للتخاطب حيث قسم القواعد التخاطبية إلى أربعة أقسام وهي : الكم ، الكيف ، و الاضافة ، والجهة إذ يمكن أن ينظر إلى الاستعارة على أنها نوع خاص من استغلال مبدأ أو أكثر من هذه المبادئ و يتميز هذا الاستغلال خرقا هذه المبادئ:

-قاعدتاكم الخبر

-قاعدتاكيف الخبر

-قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال

-قواعد جهة الخبر

و العمل بهذه القواعد يجعل من الحديث واضحا و صريحا ، إذ أن المعاني التي يتناقلها المتكلم و المخاطب معان صريحة و حقيقية ، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد و إن وقعت هذه المخالفة ، فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح و الحقيقي إلى وجه غير صحيح فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معان ضمنية و لا تتوافق الاستعارة مع مبدأ الكم ، كما يخترق الاستعارة أيضا مبدأ النوع أو الكيف الذي يشترط الصدق في الحديث لأن مستعملها يكذب بالمعنى الأدبي .²و ذلك "لعدم وجود تطابق بين القول وقصد المتكلم لأن مستعمل الاستعارة يظهر عكس ما يخفيه و هو بذلك يحتال على المتلقي الذي يقدم له معلومة ملتبسة لأن الطريقة التي يجب أن تكون عليها المحادثة ، كشرط لنجاح عملية التواصل إن احترام المبدأ الذي يجمعه بالمتلقي و مناسبا لمقام الحديث ، و بما أن مستعمل الاستعارة يعمد إلى الازدواجية في المعنى فإنه يخرج عن الموضوع مدار الحديث لأنه يحضر أثناء كلامه شيئا خارج الموضوع و بهذا يكون انتهاك قاعدة المناسبة ، و ربط المعنى بقصد المتكلم ها هنا يعود بنا إلى علاقة الاستعارة عند خرق قواعد المحادثة التي وضعها غرايس لنجاح عملية التواصل بين المتخاطبين بل تتجاوز ذلك إلى مجموعة من الخصائص الموسوعية التي يفرضها السياق الثقافي ."³

وتوجد كذلك قوانين اجتماعية و ثقافية تتحكم في مقبولية الاستعارة من عدمها و تتمثل في " المعطيات الثقافية التي تحكم جماعة لغوية و تفرض هذه المعطيات مجموعة من التشبيهات كتشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، و تشبيه المرأة الجميلة

1-ينظر : البعد التداولي للاستعارة ، ص 167.

2-ينظر : البعد التداولي للاستعارة ، ص 169.

3-البعد التداولي للاستعارة ، ص 169 ، 170.

بالوردة ، و تشبيه الرجل الكريم بالبحر و هذه التشبيهات اكتسبت خصوصية في الذهنية العربية لان البيئة فرضت ذلك فمسألة المقبولية إذن تتعلق أساسا بالمحددات الثقافية الاجتماعية المحكومة بالزمن و الذهنية التي أنشأت الاستعارة .¹

3-موت الاستعارة و حياتها تعد" ظاهرة موت الاستعارة و حياتها مظهرا تداوليا بامتياز حيث تظهر فاعلية الشروط التداولية في عملية ابتداع الاستعارات و ابتدائها ، تعرف الاستعارة الميتة بأنها استعارة استخدمها الناس لفترة طويلة فأصبحت شائعة مما أدى إلى عدم شعورنا فيها بالفرق بين الموضوع و الصورة أي انه من غير المتوقع أن يشعر الكاتب أو القارئ بوجود أي صورة استعارية لأن هذه الصورة اختفت نتيجة الاستخدام المتكرر و يدخل ضمن هذا النوع الاستعارات العلمية و الدعائية و الاستعارات المألوفة و مايميزها عن الاستعارة الحية أنها تلتحم فيها الحدود التحاما حتى عدنا لا نرى بينها فرقا فالوحدة علامة الموت و التميز .²

وبذلك تختلف الاستعارة الميتة بشكل واضح في المنظور التداولي عن الاستعارات الحية التي يتقبلها المتلقي محتفظة بعدها المجازي ، "فالاستعارة الحية تبقى محتفظة بطرافتها و جدتها و هو مايميزها عن الاستعارة الميتة و هذا مايصعب تحويلها إلى منطوق حرفي أو تحويلها إلى لغة أخرى عن طريق الترجمة و كذلك تعود صعوبة هذا التحليل إلى أن أنتاج الاستعارة في الأساس لا يرتبط فقط برغبة المنتج بل يرتبط بالعلائق التي تربط هذه المحددات بالعالم و بالشروط الجمالية و يضاف إليها شرط السياق و هي في مجملها تمثل الشروط التداولية التي تحكم موت الاستعارة و إحيائها من جديد و قد حددها إيكو فيما يلي : 3

-يلعب السياق دورا مهما في التحكم في موت الاستعارة أو إحيائها من جديد إذ يوجد دائما سياق قادر أن يقدم مجازا شائعا أو استعارة منطفئة على أنها جديدة .

-إن الانتقال من جوهر سيميائي "س" إلى جوهر سيميائي آخر "ي" يجعل ما هو استعارة منطفئة في الجوهر "س" استعارة مبدعة في الجوهر "ي" .

يقدم السياق الذي له وظيفة جمالية استعاراته ، كونه يجبرنا على أن نراها بطريقة جديدة ولانه يتصرف في قدر كبير من الاحالات بين مختلف مستويات النص مما يجيز دائما تأويلا جديدا للعبارة المستعملة و التي لا تعمل بصفة منفردة بل تتفاعل دائما مع جانب ما جديد للنص.⁴

-يمكن للمجاز الأكثر (انطفاء) أن يشتعل على أنه مجاز (جديد) بالنسبة إلى شخص يقترب لأول مرة من تعقيد توليد الدلالة .

1-ينظر : نفسه ، ص 170.

2-ينظر : البعد التداولي للاستعارة ، ص 171 .

3-ينظر : البعد التداولي للاستعارة ، ص 172.

4-نفسه ، ص 172.

-تندرج الكناية ضمن مباحث علم البيان ، وقد حظيت بجهود وفيرة لدى عدد كبير من البلاغيين العرب وهي:

يرغها قدامة بن جعفر" أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له"¹

ومن هذا التعريف نستنتج أن الكناية هي البحث عن الخفي من المعنى

ويعرفها الجاحظ" هي من الأساليب البلاغية التي قد يتطلبها المعنى للتعبير عنه ولا يجوز إلفيها ، وأن العدول عنها إلى صريح اللفظ في المواطن التي تتطلبها أمر محل بالبلاغة ، ومن يتبع الجاحظ يرى أن استعمالها استعمالا عاما يشمل جميع أضرب المجاز والتشبيه والاستعارة والتعريض دون أن يفرق بينها وبين هذه الأساليب."²

أما عند السكاكي فقد حددها بأنها: " ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة"³

ويتضح من هذا التعريف أن المتكلم الذي يستعمل الكناية يحمل كلامه على معنيين: المعنى الظاهري الحرفي يتجلى في ظاهر الصياغة، والمعنى الخفي أو الباطني وهو مقصود، ومعنى المتكلم، كما أن انحراف الصياغة عن دلالتها إلى دلالة أخرى تترتب عنها وجود علاقة تلازم ، ففي قولنا (طويل النجاد) فدلالته الأولى تتمثل في أن فلانا طويل غير أن هذا المعنى لا ينفى ما يتطلبه السياق أو المقام ، ولكي تؤدي الجملة فائدتها الدلالية وغايتها الفنية لابد أن نبحت عن دلالة أخرى تستلزمها الدلالة الأولى وبها تتحقق الفائدة وهي أن طويل القامة ، والتي يتوصل إليها عن طريق العقل.

3-تداولية علم البديع :

يعرف البديع لغة بإرجاعه إلى أصله ، ف: بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدع الشيء: اخترعه

والبديع: المبدع، والبديع من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، وهو البديع قبل كل شيء

أما اصطلاحاً: " فيقول أبا الفرج الأصفهاني أن أول من أطلق هذا المصطلح هو الشاعر العباسي مسلم بن الوليد قال في ذلك "وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم: ابن المعتز الذي كان له باع لا يستهان به في التنظير للبديع، حيث درسه دراسة مستفيضة لاسيما من حيث تقسيماته، فهو ممن يحسبون البديع مجالا خصبا

¹-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، ص 296-297.

²-عبد العزيز عثيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

³-مفتاح العلوم، ص512.

جامع لفنون كثيرة ، وعده السكاكي ذبلا لعلمي البيان والمعاني¹ ، لكن كل ما يهمننا هنا أو ما سنحاول البحث عنه هو: هل الآليات البديعية انطوت على أبعاد وأسس تداولية؟ وهذا ما سوف نحاول الإجابة عنه.

و يتضح أن البديع في التداولية أكثر تأثيرا في المتلقي ، و ذلك بوصفه أساس الفن و ربما ضم الايقاع التباين فضلا عن بديع من نوع خاص يرتكز على فعالية المتلقي في إنتاج المعاني الإيحائية المتضمنة في شكل هذا البديع الذي ورد في النصوص القرآنية و البليغة الراقية ومن ذلك ما يظهر في قوله تعالى : "ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك " 2

فعلى رأي ابن عطية الاندلسي " فإن الذي غر الانسان هو الله تعالى بوصفه كريما ولفظة (الكريم) تلقن هذا الجواب ، فهذا من لطف الله تعالى بعباده العصاة من المؤمنين ، فالخطاب القرآني موجه للمتلقي الذي اللماح الذي جعل ابن عطية نفسه مكانه ، فتصور مسرحة الحدث ، فصور نفسه هو المخاطب المائل بين يدي المتكلم سبحانه و تعالى ، فتوصل اعتمادا على التداول الذي ظهر في صفة الكريم و الملاحظ أن هذا المعنى ايحائيا استنتجه ابن عطية عن طريق التأمل العميق و التأويل أو ما يعرف اصطلاحا السيميائية التداولية ."³

وبالتالي يمكننا القول إن الدور الذي يقوم به المحسنات البديعية في الخطاب هو "دور محدود متعلق بإنشاء لغة زخرفية محسنة للكلام كما كان شائعا في الدراسات البلاغية القديمة ."⁴

أمام هذه العتبات المنهجية و في ظل هذا المعطى يمكن القول إن هذه الاستراتيجيات المطعمة بالمحسنات البديعية "تتجه بمقوماتها نحو هدف تأثيري نواته الجوهرية تحقيق المقاصد و الأغراض التي يعقد الكلام من أجلها و هذا ما نجده في ثنايا الدرس التداولي المعاصر ، و بالضبط في الشرط الأساسي الذي وضعه سيرل واعتبره من بين الشروط الضرورية التي تحقق نجاح الفعل الكلامي على أساس أنه يتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع"⁵

ويمكن استخلاص تلاقى الدرس التداولي و البلاغة من خلال جسور التلاقي بين التعبير البديعي وتنظيرات سيرل المتعلقة بشروط نجاح الافعال الكلامية و يقبع هذا التلاقي في ذلك المجال المعنى باختيار الاستراتيجية الخطابية التي لا تنفصل عن معرفة حالات المتلقين⁶

¹ - الخطاب التداولي في الموروث البلاغي ص 301-302.

² - سورة الانفطار ، الآية : 6-7.

³ - أساليب البديع في نهج البلاغة ، ص 148.

⁴ - لطفي عبد البديع ، التركيب اللغوي للأدب ، دار نوبال للطباعة ، القاهرة ، ط1، ص 91.

⁵ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 48.

⁶ - استراتيجيات الخطاب ، ص 47.

بمعنى أنه: " لا يجوز فصل الاستراتيجية البديعية على المتلقين، بحكم ان بعض المحسنات البديعية التي يعتمد عليها البليغ على فهم بعض المتلقين ذوي القدرات المعرفية و اللغوية البسيطة مما يفرض على منتج الخطاب البليغ الأخذ في الحسبان كل هذه المعطيات لتحقيق التلاؤم و التفاعل الايجابي بين الخطاب المنجز و تلك الاعتبارات المقامية .

ومن بين الآليات الفعالة الواقعة تحت لواء علم البديع نجد على سبيل المثال الالتفات الذي رجح أحمد مطلوب أن يكون الأصمعي أول من أطلق عليه هذه التسمية .فقد اتفق الكثير من العلماء على أن تعريف الالتفات أنه التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر و هذه الطرق هي : التكلم والخطاب و الغيبة ، كأن يعبر عن المعنى بطريق الخطاب ، ثم إلى العينة أو غيرها"1 و نظرا لعدم استقرار مصطلح الالتفات فقد أطلق عليه بعض العلماء" مصطلح (الصرف) أو (الانصراف) ، وهناك من أطلق عليه مصطلح "الاعتراض" كم يسمى الاستدراك و الرجوع.

ومن أبرز التخريجات البلاغية التي تكشف بعمق عن مدى اشتغال أسلوب الالتفات على طاقات تداولية حيث ربط الزمخشري الأسلوب بالسامع ربطا حقيقيا منصاغ إلى مبادئ تداولية صريحة وواضحة و يمكن الاستلزام أن قضية استخدام الالتفات و توظيف الالتفات إنما تنطوي على زخم تداولي هائل مرتبط بالسامع ، و يتم ذلك "حين يدرك انتقال الخطاب من أسلوب إلى آخر و من حال إلى آخر."2

يعتبر ابن المعتز من أهم البلاغيين الذين كان لهم باع لاستهان به في التنظير للبديع ، حيث درسه دراسة مستفيضة لاسيما من "حيث تقسيماته من بينها التجنيس و المطابقة و ذكر أيضا ثلاثة عشر فنا أسماها : محاسن الكلام و الشعر و هي : الالتفات ، الإعراض ، الرجوع ، و حسن الخروج ، و تأكيد المدح بما يشبه الذم ، و تجاهل المعارف ، و الهزل الذي يراد به الجد ، و حسن التضمن و التعريض و الكناية و الإفراط في الصفة ، و حسن التشبيه ، و إعنات الشاعر نفسه في القوافي ، و حسن الابتداءات ، كما أضاف قدامة بن جعفر أنواعا أخرى كالتقسيم ، والترصيع و المقابلات و التفسير و المساواة و الإشارة و سماها محاسن الكلام و لغويته."3

فهذين البلاغيين يحسبان البديع مجالا خصبا جامع لفنون كثيرة فتمزج فيها الفنون البلاغية أما بالنسبة للسكاكي فقد عد البديع ذبلا لعلمي البيان و المعاني ، و هنا يطرح السؤال : هل تحتوي هذه الآليات البديعية على أبعاد و أسس تداولية ؟ و هذا ما سنحاول معرفته في السطور اللاحقة .

كما تعتبر المحسنات البديعية من أهم " الآليات التي تأسس عليها الخطاب البلاغي الذي كان يصبو إليه البليغ العربي من خلال استثماره لهذه الآليات إلى بعث البعد التحسيني الجمالي لكلامه ، ولكن الأمر المهم الذي لا يجب غض الطرف

1-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي ، ص 305.

2-في اللسانيات التداولية ، ص 185.

3-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي ، ص 301، 302.

عليه هو أن هذا التوظيف لهذه المحسنات البديعية لا يكون فعالا في مستواه التواصلية بمختلف أشكاله و صورته ، ما لم يكن مسبوقا بفعاليات ذات أولوية يجب أن تكون متوفرة في مختلف الأطر التواصلية ومن أهمها مراعاة مقتضى الحال و هذا ما نجده منبثقا من تحريجات البلاغيين العرب لعلم البديع ، حيث يعرف هذا العلم بأنه : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال.¹

و من خلال هذا التعريف فإن الرعاية "بمقتضى الحال لا يمكن التغاضي عنه لأنه من الأولويات القصوى في أي ممارسة خطابية ، و العلوم أن هذه المقولة البلاغية تنطوي على زحم تداولي هائل قوامه الإعتداد بمسائل و معطيات خارجة عن النسق الداخلي الشكلي للعبارات ، مثل مراعاة المتلقي ، و زمان و مكان التلقي ، و العلاقات التي تربط بين الباث و المتلقي ، لأن هذه الاعتبارات هي بمثابة الموجه الذي يوجه صانع الخطاب ليخلق استراتيجية خطابية تتلاءم مع ظروفه ، و يمكن القول أن الهدف الذي يتوارى خلف استعمال المحسنات البديعية هو في حد ذاته زخرف لفظي ، بل تأثير على المتلقي ، و بالتالي يمكن توظيف آليات علم البديع هو توظيف فعال لإجراءات ذات طابع تداولي تؤدي إلى الاستمالة و التأثير."²

و الجدير بالقول في هذا الصدد ، أن الانتقال في الخطاب من أسلوب لآخر لا يكون عشوائيا و بدون قصد من طرف المتكلم بل العكس من ذلك تماما ، فالتكلم و هو في إطار توظيف الالتفات إنما ينشد فائدة و هذا ما يجعل كلامه مطبوعا بمحولة تداولية بامتياز ، و يظهر هذا "من خلال نظريات الزمخشري في تفسيره للكشاف و بالضبط في سياق حديثه و تفسيره للآيات المشتملة على الالتفات في الذكر الحكيم حيث يستنبط عدة أغراض و مقاصد نابعة من استخدام الالتفات بمختلف أقسامه"³ ، و هذا ما سنفصل فيه في المبحث القادم .

1-ينظر: بلاغة الخطاب التداولي ، ص 302-303.

2-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، ص 243

3-نفسه، ص 245

المبحث الثاني:

دراسة تداولية تطبيقية لنماذج بلاغية

1- نماذج تطبيقية من تداولية علم المعاني

2- نماذج تطبيقية من تداولية علم البيان

3- نماذج تطبيقية من تداولية علم البديع

المبحث الثاني : دراسة تداولية تطبيقية لنماذج بلاغية

أولاً: نماذج تطبيقية من تداولية علم المعاني

ارتأينا في هذا المبحث أن نعتد على تقسيم السكاكي لأنه يعتبر أول من أرسى البلاغة وقعدا لتنتهي بالشكل الذي وصلت فيه إلينا ، ويعتبر كتابه مفتاح العلوم ذروة البحث البلاغي واكتماله ونضوجه وقد قدم السكاكي تعريفا للبلاغة يضم آليات لغوية وتداولية بقوله "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له بتوفيه خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه، والمجاز ، والكناية".¹

نستنتج من خلال هذا التعريف أن السكاكي يشير إلى مظاهر تداولية واضحة ويتركز عليها ، فيجمع بين خواص تراكيب الكلام ومراعاة مقتضى الحال ، ومطابقة الكلام للقصد والمراد منه، وكذا مراعاة وضوح الدلالة.

- حذف المفعول به :

قوله تعالى " و لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون و وجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء و أبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل " 2

يعتبر عبد القاهر الجرجاني أن هاتين الآيتين أربعة مواضع قد تم فيها حذف المفعول به " إذ المعنى : وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم ، و امرأتين تذودان غنمهما ، و قالتا : لا نسقي غنمنا ، فسقى لهما غنمهما ، ثم إنه لا يخفي على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره و يؤتى بالفعل مطلقا ، و ما ذلك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقى ، و من المرأتين ذود ، و أنهما قالتا : لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء ، و أنه كان من موسى عليه السلام من بعد ذلك سقى " 3

نستنتج من هذا التحليل الذي اختص به عبد القاهر الجرجاني في تبيان مواضع الحذف الواردة في الآيتين أن المقصدية مفهوم يفرض نفسه في الطروحات البلاغية و مباحثها ، بحكم أن الكلام البليغ ذو الحسنى و القبول ، فإذا كانت العناية منصبية على إثبات الفعل لفاعله و جب إسقاط المفعول به من أجزاء الكلام المصنوع ، و يظهر ذلك حين أردف كلامه السابق بهذا القول " فأما ما كان المسقى غنما أم إبلا أم غير ذلك فخارج عن الغرض و موهم خلافه ، وذاك أنه لو قيل : وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما ، جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم إبلا لم ينكر الذود " 4 وبهذا تتحقق الإفادة المرجوة التي ينشدها المتكلم و يتطلع إليها المتلقي .

¹-مفتاح العلوم، ص526.

2-سورة القصص ، الآية (24،23).

3-دلائل الإعجاز ، ص 116.

4-نفسه ، ص 116-117.

- حذف المضاف و إقامة المضاف إليه :

قوله تعالى : " وسئل القرية التي كنا فيها " 1

فالمحذوف في هذه الآية الكريمة هي كلمة أهلها .

- حذف الخبر لعلم المخاطب به:

قوله تعالى : " و لو أن قرءانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل الله الأمر جميعا" 2

نلاحظ أن الله سبحانه و تعالى لم يأت بخبر ، و هذا راجع إلى "علم الذات القدسية بأن المخاطب يعلم الخبر ، و لذا كان من الأولويات التغاضي عن ذكره ، باعتبار أن كل ما يثبت معرفته عند السامع يجوز حذفه ، لأن الإتيان به داخل الجمل و العبارات الكلامية لا يحقق أية فائدة ، بل ربما سيزيد الأمر تعقيدا و التباسا و تطويلا يؤدي في غالب الاحيان بالمتلقي نحو الضجر و الملل و تعطل نشاط التلقي الايجابي لديه ، و بالتالي الاخلال بالعملية التواصلية برمتها و هذا هو سر ميل اللغة العربية عموما نحو الايجاز و الاختصار ، و هو ما يجاوز مصطلح الاقتصاد اللغوي في الدراسات اللغوية المهتمة بالتواصل ."³

- حذف الصفة و إقامة الموصوف محلها :

قوله تعالى : "أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها و كان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " 4

"يعتبر السيوطي أن التقدير في هذه الآية هو : وكان ورائهم ملك يأخذ كل -معينة- سفينة غصبا ، حيث قال فأردت أن أعيبها ؟ فلو كان ذلك الملك يغضب مختلف السفن سواء كانت صالحة أم معيبة ، ما عابها الخضر عليه السلام ، و لكنه أراد أن يعيبها و يسبب لها الأذى حتى لا يغضبها الملك الجائر و لا يكثرث لأمرها ، على أساس أنه لا يغضب إلا السفن الصالحة." 5، فالنظر إلى أن المتلقي عالم و عارف أن السفينة التي أراد الخضر عليه السلام أن يعيبها صالحة اقتضى الأمر حذف الصفة و إقامة الموصوف في موضعها بغية تحقيق الايجاز و الاختصار ، "لذلك نجد أن الله تعالى في قرآنه المجيد يأخذ منحاً تداولياً جلياً يفترق من اعتبارات معلومة و مقدرة لدى المتلقين ، و لذا فإن الخطاب البليغ ذو الحسن و القبول هو ما اشتمل في ثناياه على معارف مشتركة بين الباث و المتلقي ، بحكم أن هذه الأخيرة بمثابة المعين

1-سورة يوسف ، الآية 82.

2-سورة الرعد ، الآية 31.

3-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، ص252.

4-سورة الكهف ، الآية 79.

5-السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، دط ، 1987 ، ج2، ص62 .

الذي سوف يسهم بدور فعال في ملء الفجوات المحذوفة التي يمكن أن تواجه المتلقين و المؤلفين و هي مغروسة في أسوار النصوص و الخطابات بكل أشكالها و صورها .¹

ثانيا: نماذج تطبيقية من تداولية علم البيان :

-الاستعارة الخارجية :

قوله تعالى : و لقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل و بعثنا منهم اثني عشر نقيبا و قال الله إني معكم لئن أقمتم الزكوات و ءامنتم برسلي و عززتموهم و أقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم و لأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل " 2

الاستعارة في هذه الآية لفظ "القرض" لما قال سبحانه " و أقرضتم قرضا حسنا " فقد شبه الله تعالى الصدقة بالقرض ، ثم حذف المشبه ، أما الجامع السيء بينهما فهو : أن كلاهما مأجور . و عليه يمكن أن نستشف أن مجيء الاستعارة هنا قائم على الربط بين متشابهين منتمين إلى جنسين مختلفين متباينين ، يقول الألوسي (وهو صاحب تفسير روح المعاني) في هذا المقام المتعلق بتحليل الاستعارة الواقعة في هذه الآية : "...بالإنفاق في سبيل الخير ، و قيل بالتصدق بالصدقات المنوبة ، و أياما كان فهو استعارة ، لأنه سبحانه لما وعد بجزائه و الثواب عليه شبهه بالقرض الذي يقضي بمثله ، و في كلام العرب قديما الصالحات قروض (قرضا حسنا) و هو ما كان من طيب نفس على مقال الأخفش ، و قيل : ما لا تبعه من أذى " 3

بمعنى أن القرض في هذه الآية الكريمة مرتبط بالصدقة ، فبالرغم من أن القرض في " معناه الحقيقي منوط بالأشياء و الأمور المادية ، إلا أن الله تعالى استعارها ، على أساس أن الرابط المعنوي قائم على عنصرين اثنين هما الوعد و الأجل . و بدأ فإن استعمال الاستعارة في هذه الآية الكريمة ينطوي على بعد تداولي حجاجي يرمي بطاقاته نحو إقامة واقع جديد يفضي إلى التأثير على الأنفس و دفعهم نحو إقامة الصلاة و الزكاة و الإيمان بالرسول ، و غيرها من التعاليم الإلهية ، ومهما يكن من أمر فإن عبارة " أقرضتم الله قرضا حسنا " التي استعملها الله سبحانه في هذه الآية تتمفضل حول مجالين مختلفين ، فالجمال الأول مرتبط بالنظرة السطحية التي تظهر من خلالها هذه العبارة المشتملة على الاستعارة مجرد جملة ذات محتوى اخباري محض ، أما المجال الثاني فهو المسؤول عن المعالجة الفكرية التحليلية الدقيقة التي تغوص في العمق الحقيقي المرتبط بمقاصد الاستعمال و فنياته و استراتيجياته ، و في هذا المجال العميق تأخذ تلك العبارة وجهة حجاجية جلية ، حيث تصبح العبارة أو الجملة المشتملة على هذه الاستعارة فعلا كلاميا ينطوي على طاقات حجاجية .⁴

¹-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، ص 253.

²-سورة المائدة ، الآية 12.

³-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي ، ص 294.

⁴-نفسه، ص 249.

قوله تعالى " كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات إلى النور " 1

"كلمتا (الظلمات) و (النور) يمثلان استعارتان ل (الضلال) و (النور) على التوالي عند الزمخشري." 2

و "بصيغة أدق المستعار هو كلمة الظلمات ، أما المستعار فهو كلمة الضلال ، أما الجامع بينهما فهو عدم الاهتداء و التخبط ، أما بالنسبة للفظ " النور " فقد استعيرت للهدى ، و القرينة في كل من الاستعارتين قوله : " كتاب أنزلناه إليك " فالقرآن قد نزل لإخراج الناس من الضلال إلى الهدى . 3

نفهم من هذا الطرح الذي اختص بهذه الآية الكريمة أن الظلمات ظلمات الكفر و الجهل ، و النور نور الايمان و العلم . و الظلمات مفردا ظلم ، لأن سبل الجهل و الكفر كثيرة ، و أفرد (النور) لأن طريق الإيمان واحد أوحده (جبل الله المتين) و عليه تنبع رؤية جلية واضحة "مؤداها حصول تجاوز المستوى التخيلي التجريدي و المتمثل في الجهل و الكفر إلى مستوى آخر و هو مستوى الإدراك المباشر الذي يتم عن طريق الحواس ، باعتبار أن الظلمات و النور أسماء جامدة ، يمكن رؤية معانيها بالعين المجردة ، و من هنا يظهر فضل استعمال " الاستعارة و ما شاكلها على الحقيقة فإنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة " 4

و هو ما يؤدي بنا إلى القول أن ما تفعله الاستعارة في المتلقي يصب تحت مجال أوسع هو مجال الاستراتيجية الحجاجية و فنياتها التي تهز النفس و تنحو نحو الاقتناع .

-الكناية:

قوله تعالى: " نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم " 5

يرى الزمخشري أنها "من الكنايات اللطيفة و التعريضات المستحبة ، وهذه أشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ، ويتأدبوا بها ، ويتكلف مثلها في حواراتهم وكتاباتهم" 6

هذه الآية الكريمة تنطوي على إيجازات لطيفة وملابسات موحية للحياة الزوجية وما تشتمل عليه من أموراً قلبية لحاجات ورغبات (الجماع) أجازها الشرع، ولكن الله تعالى لم يخاطب عباده بواسطة الأسلوب المباشر وتفادي اللفظ الخسيس المفحش، ولذلك استعمل ألفاظاً راقية بتعبيره نحو بلاغة راقية، فهذبت من هذا المنطلق الصيغ القرآنية التي عاجلت مثل

1-سورة ابراهيم ، الآية 01.

2-الكشاف ، ص 365.

3-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي ، ص 292 ، 293 .

4-الصناعتين، ص 241.

5-سورة البقرة، الآية 223.

6-الكشاف، 362.

هذه المواضيع واستعمال التلميح فيها مقابل الأسلوب المباشر ، ولهذا السبب أوصى الزمخشري بالتحلي بالأسلوب التلمحي في الخطابات اليومية، رغبة منه في بناء مجتمعات إسلامية قائمة على الإحترام والتأدب المتبادل ، والرقي بالمؤمنين نحو درجات الكمال، لأن الأسلوب الكنائي يستعمل للتستر والخفاء التي تشكل بعض الحرج من الناحية الدلالية وتجاوز التصريح المباشر.

ثالثا: نماذج تطبيقية من تداولية علم البديع

1- الانتقال من أسلوب التكلم إلى أسلوب الخطاب :

قوله تعالى : " و مالي لا أعبد الذي فطرني و إليه ترجعون " 1

يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية (وإليه ترجعون) و لو أنه قصد ذلك لقال (الذي فطرني و إليه أرجع) ، و قد ساقه ذلك المساق إلى أن قال : " إني آمنت بربكم فاسمعون " 2

يريد فاسمعو قولي و أطيعوني ، فقد ينهكم على الصحيح الذي لا معدل عنه : أن العبادة لا تصح إلا لمن فيه مبتدؤكم و إليه مرجعكم ، و أصل هذا التعبير (و إليه أرجع) فالتفت من التكلم إلى الخطاب ووجه هذا الأسلوب حث السامع على الإستماع ، حيث أقبل المتكلم عليه و أنه أعطاه فضل عناية و تخصيص بالمواجهة . و هو ما يظهر مساحة معنوية ذات بعد تداولي قوامها جلب المتلقي إلى دائرة الإصغاء الإيجابي ، و هذا من أجل إنجاح فعل أثر التلفظ . 3

2- الانتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة :

قوله تعالى " حتى إذا كنتم فب الفلك و جرين بهم " 4

ففي هذه الآية قد جرى الانتقال من ضمير الخطاب (كنتم) إلى ضمير الغيبة (وجرين بهم) و سبب هذا الانتقال هو المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها و يستدعي منهم الإنكار القبيح فلولا عدم استمراره على خطابهم لما نبعث هذه الفائدة ، و يظهر الأثر التداولي بوضوح في الانتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة .

3- الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم :

قوله تعالى " أولئك سوف يؤتيهم أجورهم " 5

1-سورة يس ، الآية 22.

2-سورة يس ، الآية 25.

3-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي ، ص 308.

4-سورة يونس ، الآية 22.

5-سورة النساء ، الآية 102.

قرأ "حفص (يوتيههم) بالياء و قرأ عاصم في غير رواية حفص عنه و ابن عامر و نافع و ابن كثير و حمزة وأبو عمر الكسائي : (نؤتهم) بالنون ."¹

و في قراءتهم "التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ، إذ ورد قبل هذا الموضوع (و الذين آمنوا بالله و رسله و لم يفرقوا) في الموضوع نفسه ، فقد جاء هذا الكلام على لفظ الغيبة ، ثم التفت عنه إلى لفظ المتكلم في قراءة الجمهور ، أما بالنسبة لقراءة حفص فقد وردت بصيغة تناسب السياق ليعود على اسم الله قبله و هو أسلوب الغائب."²

4-الانتقال من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة :

قوله تعالى : " و أما الذين ءامنوا و عملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم " 3

"لقد ورد هذا الحرف بالياء (فيوفيههم) في قراءة حفص من عاصم ، و هو التفتت على أساس أنه خرج من ضمير المتكلم في الآية السابقة و في قوله تعالى : " فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا و الآخرة و ما لهم من ناصرين " 4 "إلى ضمير الغائب في هذه القراءة و الغرض منها هو التنوع في الفصاحة ، فأراد الله أن يؤكد على وحدانيته و اختصاصه بأمر العذاب و معاقبة الكافرين ، و أنه ليس هناك من يرفع هذا العذاب عن الكافرين فاستعمل (فأعذبهم) بضمير المتكلم المفرد ، و أما قوله (الذين آمنوا) فقد التفت من ضمير المتكلم إلى أسلوب الغيبة من أجل مزيد من الإمعان في إذلال الكافرين الذين جحدوا بوجود الله و وحدانيته ."⁵

كذلك قوله تعالى : " إنا فتحنا لك فتحا مبينا "⁶ هنا نجد الانتقال من المتكلم إلى الغائب .

5-التقسيم:

قوله تعالى : " كذلك جعلنا لكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا"⁷

معنى الوسط في هذه الآية أي كنتم خيارا، وهي صفة بالإسم الذي هو وسط الشيء، وكذلك استوى فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث.

1-الكشاف ، ج 1 ، ص 576.

2- الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، ص 309-310.

3-سورة آل عمران ، الآية 57.

4-سورة آل عمران ، الآية 56.

5-الخطاب التداولي في الموروث البلاغي، ص 308.

6-سورة الفتح، الآية 01.

7-سورة البقرة، الآية 143.

6-المقابلة:

قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى"

المراد ب(استغنى) أنه زهد فيما عند الله ، كأنه مستغن عنه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة ، فلم يتق.

7-الاقتباس:

مثلا في واقعة السقيفة عندما وظف أبوبكر الصديق رضي الله عنه آيات من الذكر الحكيم، إذ أراد من الناس تدبير أمورهم بغياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فاعترضه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خشية ان يضطرب الناس لهذا الخبر، وتعم الفوضى، فقام أبو بكر مناديا بالناس: " ياأيها الناس إنه من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنه حي لا يموت "ثم تلا هذه الآية: " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل"¹ وبهذا حقق اقتباس أبي بكر رضي الله عنه فعلا كلاميا وأثرا ملأ وعي المسلمين، لأنه نقل الآية الكريمة من السياق النظري، إذ نزلت الآية والنبي صلى الله عليه وسلم حي: إلى موقف عملي، وقد انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وكان صلى الله عليه وسلم حلقة الوصل بين الناس ورحمهم، وبعد غياب هذه الحلقة أصبحت علاقة الناس مباشرة برحمهم، وهي من المفترض أن تكون أقوى.²

1-سورة آل عمران، الآية144.

2-أساليب البديع في نوح البلاغة، ص154.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث ، لا بد أن نذكر أن تناول التراث بمنظور حدثي تداولي قد يفتح بعدا آخر يتناول فيه هذا التراث البلاغي الضخم ، بحيث يوسع هذا من آفاق رؤيتنا له ، ويعيننا على إدراك خصائصه الايستومولوجية والمنهجية .

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها أن هذا العلم -علم البلاغة- يحمل في طياته بذور التداولية، وإن اعتبره البعض جوهر التداولية ، فهي في عمق تكوينها وأهدافها تداولية ، فكل من البلاغة العربية والتداولية يعتمدان على طريفي الخطاب : المتكلم والسامع ، بالإضافة إلى أن المتكلم يخضع كلامه أثناء استعماله لشروط تداولية ، وذلك قصد تحقيق الهدف البلاغي ، وإقناع المتلقي أو السامع ، والتأثير فيه ، فقد حاولت البلاغة أن تمد المتكلم بكل الوسائل البلاغية والتعبيرية للوصول إلى غرضه والتأثير في هذا السامع ، كما سعت لضمان أن يكون كلامه فصيحاً ناجحاً ومقبولاً عند السامع ، وبذلك تظهر أهم التقاطعات بين البلاغة و التداولية في الاهتمام بكل من طريفي التواصل - المتكلم والسامع - بالإضافة إلى الاهتمام بالمقام ، وسعيها لتحقيق التأثير في السامع وإقناعه وإنجاح العملية الإتصالية بين طريفي الخطاب ، كل هذا يمكن أن يثبت البعد التداولي للبلاغة العربية .

كما تفتن البلاغيون العرب لظاهرة الأفعال الكلامية من خلال دراستهم لظاهرة الخبر والإنشاء كما وضعت معايير للتمييز بينهما ومن بين هذه المعايير التداولية معيار القصد .

-لا يمكن اعتبار الطروحات والتخریجات النابعة من الفكر البلاغي العربي ، بمثابة جهود تنظيرية حاملة لفروق ومميزات كثيرة إذا ما قابلناها مع المفاهيم والأسس التي قامت عليها النظرية التداولية ، لا سيما من حيث الجوهر والوظيفة ، خاصة إذا أدركنا أن التصور الذي اغترف منه العرب وهم ينظرون للدرس البلاغي إنما كان مرتبطاً لديهم بتحقيق الغاية الإفهامية ، والغاية الإقناعية ، أي خلق تأثيرات على معتقدات المتلقين .

-ركزت البلاغة العربية عنايتها في إظهار أطراف أقطاب العملية التواصلية والعلاقة القائمة بينهم ، الأمر الذي أفضى إلى سيلان الأفق البلاغي العربي في مجرى الأهداف التي سطرتهما الدراسة التداولية المعاصرة وهي تتعاطى مع اللغة في إطار عملها التواصلية

لم تنس البلاغة العربية وهي تتعامل مع الظاهرة اللغوية من بيان الأدوار التي يضطلع بها المتكلم في صياغة الخطاب الإستراتيجي ذو الحسن والقبول ، كما لم تخل من التركيز على السامع في الخطابات ، باعتباره الركن الركين الذي يملئ على مشكل الخطاب انتقاء الألفاظ والعبارات والإستراتيجيات المناسبة له إلى جانب الإلمام والإعتداد بمعظم العناصر والمعطيات الفاعلة في الإبلاغ ، ومعيار الصدق والكذب في الأساليب ...

- إن البلاغة العربية بمختلف علومها (البيان، المعاني والبديع) تتجه بآلياتها وقضاياها نحو أفق تداولي صريح لا غبار عليه ،على أساس أن علم المعاني يسلط عنايته حول دراسة طرائق الكلام، وذلك ليطباق مقتضى الحال ، أما البيان والبديع فهما قسمان مرتبطان بجوهر التواصل ونواته التداولية ،وذلك بفضل عنايتهما بالجانب التنمقي والجمالي للألفاظ لغرض التأثير في النفوس وقلب القناعات واستمالة الأنفس ،وهو ما يصب في عمق الدرس التداولي المعاصر الذي عكف على رصد المبادئ والأسس المنهجية التي تطعم الخطاب لتجعله مرنا وفضفاضاً، ينسجم مع الأطر التواصلية المختلفة ،حتى يغدو في تشكيله النهائي واضحاً ، لا لبس فيه وفي مستوى قبول واستحسان المتلقين .

- يبقى علم المعاني من الاقسام البلاغية التي تحوي في ثناياها زخماً تداولياً مهماً ، وقد يظهر ذلك جلياً عند مقارنة بعض مباحثه (كالخبر والإنشاء والحذف والإطناب).

- تجلّى موضوع التداولية عند العرب القدماء في مصطلح السياق ، إذ أن تنوع الوظائف التداولية هو انعكاس لتنوع السياق كاستجابة له .

- يظهر تناول البلاغيين لهذا البحث في دراستهم للسياق على فكرة مقتضى الحال والعلاقة بين المقال والمقام ، وأحسن ما يمثل ذلك حديثهم عن علم المعاني واهتمامهم بحال المستمع وظروفه .

- المقام عندهم كل ما يعين على فهم الحدث اللغوي ، ويساعد على إبراز المعنى سواء أكان متصلاً بالمتكلم أو السامع او علاقة كل منهما بالآخر .

- اتخذت العلاقة بين التداولية والبلاغة بعدين أساسيين تتفرع منهما عدة أبعاد ، فمن جهة تعد البلاغة بمفهومها التقليدي هي التأسيس الأول للتداولية بوصفها حالة من حالات استعمال اللغة يهدف إلى التأثير في المتلقي ، ولا يخفى أن مصطلح البلاغة مصطلح تقليدي للغاية وهو يشير إلى دراسة الاستعمال المؤثر للغة في عملية الإتصال ، وقد عرفت أنها فن استعمال اللغة بمهارة بغرض الإقناع و بغرض الكلام التواصلية بين الناس .

-أول ما تنصرف إليه البلاغة هو الإبلاغ ، فتعالج كيفية التأثير في الآخر واقناعه ، وبيان المقاصد التي يهدف الباحث إلى تحقيقها ،وهذا يعد من صميم البحث التداولي ،الذي يعالج درجات التفاعل الإتصالي بين المخاطب والمتلقي وشدة التأثير وقوته التي تتم بالأفعال الكلامية الموظفة في الخطاب ،فواضح أن للبلاغة وشائج قربي مع نظرية الإتصال واللسانيات التداولية .

-يجب على البليغ أن يوظف في كلامه طائفة من الأدوات البلاغية نحو التشبيه وأنواعه والمجاز والكناية والاستعارة لكي يكون خطابه بليغاً في صورة تأسر المتلقي وتؤثر فيه ، وبذلك يضمن المتلفظ بالخطاب تلقي سامعه لخطابه على النحو

الذي يرمي إليه ، وهذا ما لا يتوفر عند كل الناس بل عند طبقة البلغاء فقط ، فالبلاغة تعنى بالتواصل الأدبي الرفيع وشروط تحققه ثم تحكم عليه ، وتعد هذه الجوانب البلاغية المرتبطة بالخطاب مؤشرات تداولية مهمة تعنى بها قضايا تداولية وهذا ما نجده في النظرية الإشارية ، والحجاج اللغوي ، وأفعال الكلام لأنها تكشف عن قصد المتكلم ودرجة شدته في أفعاله الخطابية في جملة أقواله الصادرة عنه.

-للبلاغة طرفان أعلى وأسفل ، وبينهما مراتب لا بد لها من الإشتغال على الأدوات البلاغية التي أشار إليها السكاكي (تشبيه، مجاز، استعارة...) وبجسب جودة توظيف هذه الأدوات وشدة احكامها بما يتناسب مع مقتضيات الأحوال ، إذ لكل مقام مقال ، وأعلى حد تبلغه البلاغة هو الايجاز كما تعنى البلاغة بجملة من العناصر تعد من صميم بحث اللسانيات التداولية وهي :

* صحة اللغة وصوابها.

* أن يكون المعنى الذي قصده المتكلم مطابقا منسجما مع الألفاظ والجمل التي استعملها المتلفظ في خطابه.

* أن يكون المتكلم صادقا في نفسه .

وهذه العناصر تشترك بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية بمختلف جوانب دراستها للمعنى .

-تحقق البلاغة تقاربا في المعالجة مع اللسانيات التداولية من خلال دراستها للتعبير اللغوية بمستوياتها المختلفة (صوتية، صرفية، تركيبية، دلالية) والبحث في العلاقات القائمة بينها .

-المبدأ الذي انطلقت منه البلاغة، وجل علوم اللغة العربية هو مبدأ وظيفي تداولي يقوم على رصد خصائص تراكيب اللغة في علاقتها بمقامات أنجازها من جهة، وأغراضها التواصلية التي وضعت من أجلها من جهة أخرى، كما أن تلك الوظائف التي درستها البلاغة والنحو، تعد وظائف تداولية في صميمها.

وكل هذا يجعل البلاغة العربية مصدرا من مصادر التفكير التداولي العربي، وأرضية خصبة لمعالجتها بتقريب تداولي يعيد لها مكانتها بكشف مظاهرها وأبعادها الوظيفية التداولية .

وما يسعني في الأخير إلا أن أقول: إن هذه العصاره المعرفية التي تمخضت من هذا البحث، خليفه بأن تكون بمثابة منارة فكرية تدعو الباحثين لإقتحامها قصد الخلوص إلى حقائق علمية ذات قيم معرفية ثمينة.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

1-أحمد درويش، النص البلاغي في التراث العربي و الأوروبي، دار الغريب للنشر والتوزيع، 1998.

2-باديس لهوميل، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، دار عالم الكتب الحديث، ط1، 2014.

3-أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، بيروت. لبنان، ط1، 2009.

4-التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، لبنان، ج1.

5-جاسم مُجَّد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، ط1، 2007.

6-الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

7-حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، عمان الأردن، ط1، 2014.

8-الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط3، ج1، 1993.

9-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ط1، 2009.

10-سعد الدين التفتازاني، المختصر في شرح تلخيص القزويني، القاهرة، ج1، 1944.

11-السكاكي، مفتاح العلوم، دار المكتبة العلمية، بيروت. لبنان، ط2، 1978.

12-عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، دار التونسية للنشر، تونس، أوت1986.

13-السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء العلوم، بيروت، ج2، 1986.

14-صلاح فضل

-بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2014.

-علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2004.

15- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، د ط، ص205.

- 16- طالب سيد هاشم الطبطباي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرون والبلاغيين، الكويت، 1994.
- 17- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- 18- القاضي الجرجاني، الوساطة (المتني وخصومه)، ط4، 1966.
- 19- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود مُجَّد شاكر، مطبعة المدني للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 20- لخداري سعد، الأنساق البلاغية القديمة وموقعها من السيميائية وتحليل الخطاب، بجاية.
- 21- لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، دار نوبال للطباعة، القاهرة، ط1،
- 22- عبد المجيد جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2000.
- 23- مُجَّد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2008.
- 24- مُجَّد مشبال، البلاغة والأدب، دار العيون، القاهرة، ط1، 2010.
- 25- مُجَّد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار نوبال للطباعة، القاهرة، ط1، 1991.
- 26- مُجَّد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط3، 1992.
- 27- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2002.
- 28- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر ط1، 2008.
- 29- ناعم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، الأردن ط1، 1997.
- 30- عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت. لبنان، ط1، 2003.
- 31- أبو هلال العسكري، الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط2، 1989.
- 32- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، مصر.

المجلات والاطروحات:

- 33- أمل عبد الجبار، السياق في البلاغة العربية قديماً، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، العدد1.

- 34- سامية بن يامنة، الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية، ماي 2008.
- 35- سليمان بن سمعون، البلاغة وعلاقتها بالتداولية و الأسلوبية وعلم النص، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 6الجزائر، العدد17، 2012.
- 36- شتير رحمة، التداولية وآفاق التحليل، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد1 و2.
- 37- نادية ويدير، البعد التداولي للاستعارة، مجلة الممارسات اللغوية، العدد14، 2012.
- 38- نور الهدى حسني- باديس هومل، مداخل اللسانيات التداولية في الخطاب البلاغي العربي، 2017، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد02.
- 39- مُجَّد ملياني، ظاهرة الحذف في الدراسات الحديثة، دكتوراه.
- 40- واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي ، دكتوراه، جامعة وهران، 2012.

فهرس المحتويات

-إهداء

-شكر وعرفان

-مقدمة..... أ-هـ

7.....مدخل: تقاطع البلاغة مع النظريات الحديثة.

7.....-تقاطع البلاغة مع الأسلوبية.

9.....-تقاطع البلاغة مع علم النص.

10.....-تقاطع البلاغة مع التداولية.

..... الفصل الأول: تقاطعات البلاغة مع التداولية.

14.....1-تقاطعات على مستوى المفاهيم والمصطلحات.

14.....أ-على مستوى الأفعال الكلامية.

14.....-الأفعال الكلامية عند التداوليين.

17.....-الخبر والإنشاء عند البلاغيين.

22.....ب-على مستوى السياق.

22.....-السياق عند التداوليين.

24.....-السياق عند البلاغيين.

26.....ج-على مستوى المعاني والمقاصد.

26.....-القصد عند التداوليين.

27.....- القصد عند البلاغيين.

35.....2-تقاطعات على مستوى عناصر الخطاب.

- 35.....أ- المتكلم
- 36.....ب- السامع
- 39.....ج- المقام

الفصل الثاني: موازنة بين التحليل البلاغي والتحليل النداولي

- 46.....1- المقاربة التداولية في علوم البلاغة
- 46.....أ- تداولية علم المعاني
- 47.....ب- تداولية علم البيان
- 53.....ج- تداولية علم البديع
- 58.....2- دراسة تداولية تطبيقية لنماذج بلاغية
- 58.....أ- نماذج تطبيقية من تداولية علم المعاني
- 58.....- حذف المفعول به
- 59.....- حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
- 59.....- حذف الصفة وإقامة الموصوف محلها
- 60.....ب- نماذج تطبيقية من تداولية علم البيان
- 60.....- الاستعارة الخارجية
- 61.....- الكناية
- 62.....ج- نماذج تطبيقية من تداولية علم البديع
- 62.....- الانتقال من أسلوب التكلم إلى أسلوب الخطاب
- 62.....- الانتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة
- 62.....- الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم

63.....	-الانتقال من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة.
63.....	-التقسيم
64.....	-المقابلة.
64.....	-الاقتباس.
66.....	خاتمة
69.....	ملخص
71.....	المصادر والمراجع
75.....	فهرس المحتويات.

ملخص :

شكلت العلاقة بين البلاغة والتداولية عوامل ربط بين البلاغة وعلم اللغة، فموضوع البلاغة والتداولية هو استعمال اللغة بوصفها وسيلة تواصل بهدف ممارسة فعل على المتلقي ، فالنص اللغوي هو نص تداولي أيضا ، أي نص في موقف ،ومن ثم يتفق المنظور البلاغي والتداولي في مراعاة الملايسات الخارجية والعناصر السياقية المختلفة في عملية التحليل ، لأن المتكلم في الأصل يراعي الظروف والملايسات المقامية التي تحقق لرسالته اللغوية أقصى درجات التواصل إقناعا وتأثيرا في المتلقي، فالبلاغة والتداولية نظام من التعليمات تستخدم في إنتاج النص.

Abstract

The relationship between the Rhetoric and the pragmatic made some factors between linguistics and the Rhetoric. So, the topic of pragmatic and Rhetoric is the use of language as a mean of communication that aims the practice action on the receiver. Thus, the linguistics text is a pragmatic text as well this means that the text in this case, and then it suits Rhetoric and the pragmatic perspectives in the consideration of the external facts and the different contextual in the analyses operation because the speaker in his origin considers the circumstances and facts of the standing realizing the most communicative degree of his linguistic message convincing and affection the receiver. So the Rhetoric and the pragmatic system is from the commands used in producing a text.

Sommaire

La relation entre la rhétorique et la pragmatique a fait quelques facteurs entre la linguistique et la rhétorique. Ainsi, le sujet de la pragmatique et de la rhétorique est l'utilisation du langage comme moyen de communication qui vise l'action pratique sur le récepteur. Ainsi, le texte linguistique est aussi un texte pragmatique qui signifie que le texte dans ce cas, puis il convient Rhétorique et les perspectives pragmatiques dans la considération des faits externes et les différents contextes dans l'analyse des opérations parce que le locuteur dans son origine considère les circonstances et les faits du debout réalisant le degré le plus communicatif de son message linguistique convainquant et affectant le receveur. Ainsi, la rhétorique et le système pragmatique proviennent des commandes utilisées pour produire un texte.